

اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية

تأليف
كمال أحمد عون

دار
الشعب

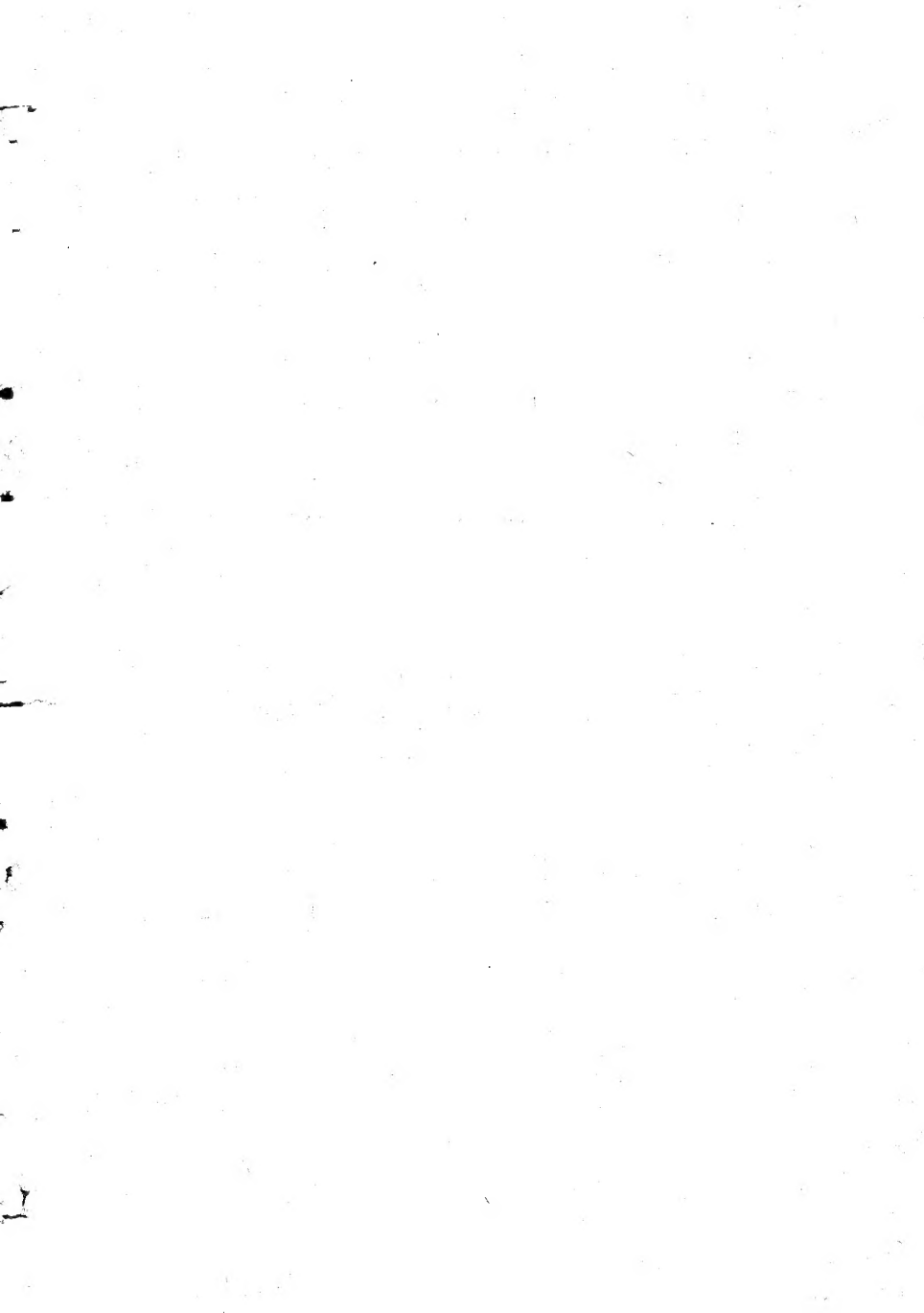
٩٤ شارع قصر العيني بالقاهرة.
تليفون ٥١٨١٠

فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع

٥	المقدمة
٩	اليهود بين الحقائق والدعاوى
٢٩	من مصر إلى التيه
٤٥	في فلسطين
٧٧	الشتات اليهودى
٩٠	كتاب اليهود المقدس والأخلاق
١١٤	خاتمة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين المجاهدين .

وبعد :

فقد عرفت الكتاب المقدس لأول مرة معرفة قراءة ودرس لبعض
لواحيه عام ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف وكنت معنيا بمعرفة النظرة
الدينية إلى المرأة لدى اليهود والنصارى في مصادرها الأولى ، حينما كنت
مشغولا بوضع كتابي « المرأة في الإسلام » . وراعى ما وجدت في
العهد القديم وبخاصة في أسفاره التاريخية من أحاديث الدماء ، وانحرافات
الجنس ، وعدوان على قداسة النبيين ...

وشعرت أن هذا الذي جرى ويجرى في أرض فلسطين قبل حرب
مايو سنة ١٩٤٨ وبعدها ليس بعيداً مما أرى وأطالع في أسفار العهد
للقديم ، مما يعطى أهمية كبرى لدراسته .

وعاودت النظر فيه بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦
وكنت بصدد محاضرة بدار الشبان المسلمين في طنطا تحت عنوان :

« المبادئ الخلقية للقتال في الإسلام » وعجب معي صفة ممن استمعوا إلى ما ورد في المحاضرة عن دستور اليهود المقدس في الإبادة والتدمير ، واقرحوا آنذاك طبع المحاضرة .

ثم عاودت النظر كذلك بمناسبة ما عمدت اليه إسرائيل من تحريف بعض آي الذكر الحكيم في إذاعات مسجلة أهدتها إلى بعض الدول في إفريقيا ، فألقيت عدة محاضرات بدار جمعية الشبان تحت عنوان : « مطالعات ودراسات في التوراة » (رجب سنة ١٣٨٠ هـ - يناير سنة ١٩٦١ م) تحدثت فيها عن مسائل : الألوهية ، والنبوة ، والمثل السيئة في الكتاب .

وتحدد البحث آخرأ بصورة أدق وأشمل حينما نخرج الموقف بيننا وبين إسرائيل ، وما تلا ذلك من عدوان أثيم .

* * *

وكننت في مطالعاني السابقة للكتاب أضع عناوين لموضوعاته ... فسجلت ذلك أخيراً بشيء من الاستيفاء أكثر في مذكرة خاصة كدليل لكل جزئية فيه ، نظراً لأن النسخة المتداولة لا تليء عن أكثر من اسم السفر ورقم الفصل (طبع جمعيات الكتاب المقدس ببيروت عام ١٩٥١) .

ومضيت أدرس وأراجع ، وظننتني أكتفي بمقالين أو ثلاثة أنشرها ولكن البحث فرض نفسه ، فتركته يتنفس بعض الشيء ، أداء لأمانة

الكشف عن مكان الداء في الأعداء ، أولئك الذين بدا من أصالتهم في الشر ، وعراقهم في السوء ألا أمل في استقامتهم ما لم تكسر قناتهم ، وتحطم صفاتهم ، ثم لا خير فيهم يرتجى بعد إلا أن يشملهم المجتمع الاسلامي بكرمه المعهود ، فيضمهم تحت جناحه ، كأهل كتاب يحبون في سماحته ، صاغرين لعزته ، آمنين بعدالته ، يسعون على عيشهم ، وينصرفون إلى كسبهم ، متجحرين في بيوتهم ، مقلعة أظفارهم ، مبعدة سمومهم ، كما سبق أن عاشوا في ظلال الإسلام ، وتحت رايته .

• • •

ولقد ظهر عن اليهود كتابات كثيرة في العهد الأخير ، وقرأت منها ما استطعت ، وبعض الكاتبين عرض لتاريخ بني اسرائيل من أسفارهم المقدسة ، أو « بروتوكالات صهيون » وكثيرون آخرون ينقلون كلمات من هنا وهناك بغير تحقيق ولا مراجعة ، واهمين أن الحاجة الآن ماسة إلى زيادة التشنيع والسباب للأعداء .

• • •

وفي ظني أن هذا البحث على وجازته يعطى صورة صادقة وكاملة في حدود ما ابتغاه من أن اليهود من كتابهم المقدس أعداء لكل معنى إنساني كريم في هذه الحياة ، في منهج علمي دقيق ينسب النقل إلى موضعه من الكتاب كلما احتاج الأمر الى ذلك .

ويطلعنا على مكان الشر الأصيل في نفوس عدونا العادى على أرضنا ومقدساتنا ، مما يستبين لنا بوضوح أن علاج ذلك ليس أمراً

هيناً ، يمكن تأنيبه بمسكنات وقتية ، أو حلول جزئية ، أو أعمال عاطفية أو ارنجالية .

* * *

ثم هو يقيم حجة لا تعدلها حجة على العدو في دعواه حقاً تاريخياً في فلسطين ، وذلك من شهادته على نفسه بطروءه على أهلها المقيمين بها ، ولما هاجر منها إلى مصر ضعيفاً ، وعاد بعد قرون غازياً لم تخلص جميعها له يوماً واحداً ، حتى في عصرهم الذهبي على عهد الملكين العظيمين : داود وسليمان عليهما السلام ، إلى أن حُطِّم الاسرائليون فيها تحطياً أكثر من مرة ثم أزيلوا عنها ، وأن الإسلام حينما ورد على عرب الشام وأزال ملك الرومان ، لم يكن للدولة اليهود أثر ، ولا لهيكلهم وجود .

* * *

كما يفند من كتابهم - مضافاً إلى حجة الواقع التاريخي الصحيح - تفنيدها قاطعاً ادعاءهم عهداً من الله سبحانه لابراهيم وبنه بملكية فلسطين ملكاً أبدياً ، بما يكشف حقيقة عهد الله تعالى لأبي الأنبياء عليه السلام وتزييف اليهود لهذه العهود .

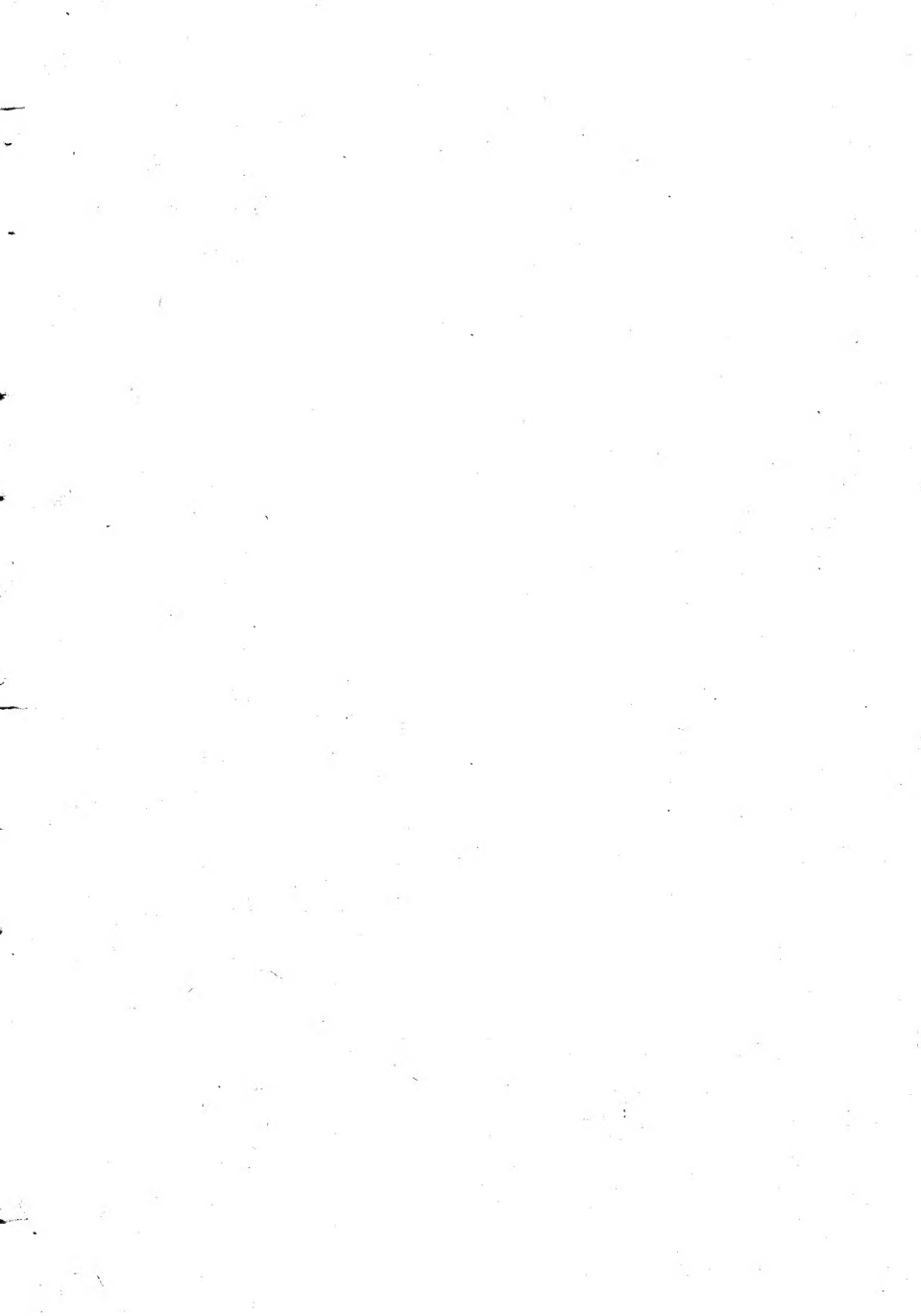
وأخيراً : فقد أثرت أن أسمى اليهود بحقيقتهم الحاضرة المتمثلة في انتمائهم الاسمي إلى شريعة نبي الله موسى عليه السلام ، دون ما يزعمونه لأنفسهم من شرف النسب إلى نبي الله يعقوب الملقب بإسرائيل ، وذلك لخالفه زعمهم الواقع التاريخي ، كما أوضحته في الفصل الأول عند الحديث على اليهود وبنى اسرائيل .

وبعد :

فإنه لشرف لهذا البحث أن يكون من بحوث مؤتمر العلماء المسلمين ،
الذى عولجت فيه قضية فلسطين ، وأن ينال الرضا والتقدير .

وعسى أن يكون هذا البحث مؤثراً ثماره في التحذير الحقيقي من
خطر العدو الصهيوني ، والله المستول أن يمد المخلصين بمدده حتى يعود
الحق الى نصابه ، وترجع فلسطين الى سالف عزها ومجدها .
وبالله التوفيق .

كمال أحمد عون



الفصل الأول

اليهود بين الحقائق والدعوى

« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسْعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

صدق الله العظيم

وعد قاطع - دهشة نزول - اليهود وبنو إسرائيل - إبراهيم
وعهود التوراة - نظرة في العهد - بنو إسرائيل في مصر -
حفاوة - خروج .

وعد قاطع :

هذه الآية القرآنية الكريمة من كتاب الله الكريم ليست فقط وعداً
إلهياً قاطعاً بما ينتظر اليهود بين الحين والحين من عذاب أليم ، وخطر
جسيم ، وهوان وتشريد إلى يوم القيامة ، وإنما هي كذلك ترجمة
صادقة عن فطرة مسيخة شوهاء عليها عامة هؤلاء الناس ، منذ بدّلوا
آيات الله ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وكفروا بالله ، وقتلوا
أنبياءه ، وعاثوا في الأرض فساداً .

وذلك أن الله العادل الحكيم في غفرانه ورحمته وعفوه لا يسجل
هذا الوعيد الشديد بذلك العذاب المهيئ المتجدد أبداً حتى تقوم الساعة
ما لم يكن في طباع أولئك الفريق من الناس من السوء والفساد والحق
الأسود والبغضاء والقسوة على عباد الله ما يحرمهم العيش في سلام
ووثام وهدوء نفسى ونعاون مع الآخرين .

دهشة نزول :

ولقد كنت أعجب غاية العجب من أعمال اليهود في فلسطين عام
ثمانية وأربعين قبل إعلان دَوَيْلَتِهِمْ بقليل ، وأدهش لإسرافهم في القسوة
والبطش مع ما هم عليه من الذلة والقلّة والحاجة الدائمة إلى سند من
غيرهم ، على أنهم كانوا حينذاك حديثي عهد باضطهاد هتلر والنازيين
لهم ، وبما لاقوا على أيديهم من ضروب النكال والتقتيل والتشريد ،
حتى أتيت لي بعد ذلك بقليل أن أعرف سرّاً خفى على ، وإن لم يكن
في ذاته سرّاً ولا خفياً ، وكيف يكون سرّاً ما يقرؤه الملايين ، وما
يطبع ويذاع بلغات العالم في الشرق والغرب القرون تلو القرون :

وإذا كنتُ قرأت الكثير مما كتب عن اليهود ، وحفظت ماورد عنهم
في القرآن الكريم ، واستوعبت جانباً هاماً مما جاء بشأنهم في السنة
الصحيحة والسيرة النبوية ، وطالعت صحفاً من تاريخهم ، فالحق أني لم
أتبين تفسير ذلك السلوك جلياً بما يكشف عن منابع السوء في قلوب
اليهود المعاصرين على نحو ما تبينته في كتابهم المقدس .

لقد كان غاية الظن في تفسير سلوك المعاصرين منهم أنهم ورثوا أسلافاً
ضلوا سواء السبيل فغضب الله عليهم ، وأذاقهم من سوء ما صنعوا ،

وكان للأبناء من نزوع العرق ، ودسائس الجبلة ، وأخلاق الآباء حظاً مقسوم ، ولم يكن في الحسبان أن كتابهم المقدس الذى يدينون به يرسم لهم أسوأ ما يرسم المعلم لتلميذه ، بل ينج لهم في بعض تصرفاتهم الشخصية وفي سياستهم الدولية ما تقرُّبه عين الشيطان ، دع التلمود الذى هو التعاليم التى تناقلوها شفويّاً منسوبة إلى موسى عليه السلام ، ثم دونوها وفيها شروح أحبارهم ووصاياهم فقد ينكرون بعض ما فيه ، ودع ما يسمى « بروتوكولات حكماء صهيون » ... تلك التى نشرت مراراً في مطالع هذا القرن وفي كل مرة تخفى عقب ظهورها ، فقد ينكرون كل ما فيها ،

وسيكون أساس حديثنا عنهم من كتابهم حيث لا مجال حينئذ لانكار أو مكابرة ، ولا مظنة في ادعاء أو تزويد ، فلندع النصوص تنطق ، ولننقِّسح لكتابهم يسجل عليهم ، ولآياتهم تشهد بحقيقة أمرهم ، فهى في هذا — ولا ريب — أقطع بياناً ، وأسطع برهاناً ، ولك بعد قراءة ما أنقله بنصه — وإنه لقليل من كثير — أن تعتقد كما اعتقدت اليأس من صلاح اليهود بل من مجرد استعدادهم ليعيشوا مع الشعوب على نحو ما ينبغى لحياة الشعوب ما داموا يهوداً أو على شىء من قراشهم القديم .

اليهود وبنو اسرائيل :

يخلط بعض الباحثين بين اليهود وبنى اسرائيل ، وذلك الخلط بعض الذرائع المقصودة للصهيونيين إلى أغراضهم السياسية ، فهم

يريدون تحقيق نسب اليهود الحاليين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، استطالة بشرف النسب ، وتذرعاً للتمسك بما جاء في التوراة من الوعد باعطاء الأرض المقدسة إلى بنيه ، هذا الوعد الذى ستعرض قريباً لحقيقته وجدواه .

يقول صاحب المنجد من قسم الأدب والعلوم : « اليهود : اسم أطلق منذ القدم على الشعب سليل إبراهيم الخليل من اسحق ، يعرفون بالعبرانيين ، أو بنى إسرائيل . انتشروا فى العالم من قديم الزمان » .

وفى هذا القول من مجافاة الحقيقة ما فيه ، فبنو إسرائيل هم ذرية نبي الله يعقوب الملقب بإسرائيل بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام . أما اليهود فهم الذين ينتسبون إلى شريعة موسى عليه السلام ، كما هى بأيديهم الآن على ما داخلها من التحريف والتبديل والتشويه ، فاليهود قديماً كما قال محققو المؤرخين (١) « أعم من بنى إسرائيل ، لأن كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً ، ولم يكونوا من بنى إسرائيل » .

بل يقرر هذا كتابهم المقدس حينما روى أن بعض هؤلاء اليهود غير الاسرائيليين قد بلغوا مراتب القيادة فى الجيش ومن هؤلاء أوريا الحثى أحد القادة المخلصين لداود ، صاحب الأسطورة المعروفة التى سنعرض لها بعد - وقبيلة أوريا الحثى وهم بنو حث فى فلسطين قبل قدوم إبراهيم وقد أكرموا مقامه ببيتهم كما سيجىء قريباً . كذلك

جاء في سفر « استير » (١) بعد ذكر نجاة اليهود من الإبادة في بلاد فارس بحيلة أوقعوا فيها بخصمهم هامان ، بأمر « أحشورش » ملك الفرس قوله : « وكان لليهود بهجة وفرح وسرور وكرامة ، وصار كثير من أمم تلك الأرض يهوداً لأن خوف اليهود حل عليهم » كما جاء أيضاً أنهم في شكرهم لله على النجاة لم يكفهم أن قتلوا عدوهم وبنيه العشرة ، بل أعمالوا السيف أياماً في رقاب مخالفينهم ، وأبادوا منهم عشرات الألوف .

ولقد نزلت الكوارث باليهود قديماً إلى حد الإبادة والاستئصال حتى لم يكد ينجو منهم إلا سبي أو شريد ، على ما سنشير إلى ذلك من وقائع التاريخ .

ويهود اليوم - كما يشهد الواقع - خليط من أمم العالم شرقه وغربه ، لا يخلص لهم نسب ، ولا يصفو لهم دم ، فقد اختلطوا بأمم الأرض كارهين وطائعين ، وطوّحت بهم الأحداث كما طوّحت بأسلافهم من أمة إلى أمة ، ومن صُقع إلى صُقع ، وما تزال تنزل بهم كشأنهم في القديم .

(١) سفر استير من الكتاب المقدس ص ٨٢٣ - واستير التي سُمي السفر باسمها يهودية كانت توضع موضع الاختبار في بيت ملك فارس من المساء إلى الصباح ، فأعجبته به مغاضبة للملكة السابقة فتزوجها وجعلها ملكة بعدها ، فخدمت بني ملتها بتدبير بعض وخوسهم ، حتى تخلصوا من أعدائهم ، وسنعرض له في فصل « كتاب اليهود المقدس والأخلاق » .

أما إبراهيم الخليل عليه السلام : فهو عربي هاجرت قبيلته من قلب الجزيرة العربية إلى العراق ، ثم هاجر بعد بعثته إلى أرض كنعان بالشام ، ورحل إلى مصر ، ثم عاد ثانية إلى حيث كان بأرض كنعان في جنوب فلسطين ، ثم رحل بابنه اسماعيل وأمه إلى الحجاز حيث أسكنهما هناك ، وكان يمر بولده حيناً بعد حين (١) ، حتى أمر بإقامة القواعد من البيت الحرام ، قبله الإسلام بمكة المكرمة يعاونه ولده اسماعيل الذي جاءت منه أمة العرب خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان إبراهيم عربياً خالصاً من سلالة العرب العاربة التي يرتفع نسبها إلى سام بن نوح عليه السلام فهو كذلك أبو العرب المستعربة الذين هم أبناء اسماعيل من إبراهيم ، وهو هذا جد العرب كما هو جد بني إسرائيل .

ولإبراهيم لا يسمى إسرائيلياً ، فإسرائيل كما مر حفيد إبراهيم ، كما لا يسمى يهودياً فهوذا الذي يتعلقون بالنسب إليه أحد أبناء إسرائيل ، وبالأولى لا يكون مسيحياً ، فلم يكن قد اقترب زمان المسيح ، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين .

(١) زعمت التوراة في سفر التكوين : ٢٦ أن إبراهيم صرف هاجر وأعطاهما ولدهما اسماعيل ، فمضت وتاهت في برية بئر سبع حتى طمأنها ملاك الله... فأقام اسماعيل في البرية. واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر ، وأغفلت رحلة الحجاز وإقامة اسماعيل واشتراكه مع أبيه في إقامة البيت الحرام قصداً حتى لا يكون لاسماعيل وذريته من بعده هذا الشرف العظيم.

ابراهيم وعهود التوراة :

ولنلق نظرة موضوعية على ما ورد في الأسفار الأولى — وهي الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من دعوى العهود الالهية لابراهيم وبنيه بامتلاك فلسطين ملكاً أبدياً ، والقيمة الحقيقية لهذه العهود :

وخلاصة الموضوع : أن الله تعالى قطع مع ابراهيم عليه السلام عهداً أن يعطيه أرض غربته (كنعان : فلسطين) ملكاً مؤبداً له ولبنيه من بعده ، فلما شكك إلى الله تعالى أن ليس له وارث من صلبه وعده بنسل كثير ، ثم رزق بإسماعيل من هاجر ، ومن بعده اسحق من زوجته سارة ، ثم ولد له أبناء آخرون من غيرهما .

ثم تحول العهد من ابراهيم وبنيه عامة الى اسحق خاصة وبنيه ، ورزق اسحق بولديه عيسو ويعقوب .

ثم تحول العهد مرة أخرى فخص يعقوب الملقب ياسرائيل وبنيه .

فهل تحققت هذه العهود على نحو ما وردت في أسفار الكتاب المقدس ، أو تحققت ما يخالفها تماماً ؟

وإلى القارئ البيان :

وردت هذه العهود في الأسفار الأولى من الكتاب المقدس ، لكل من ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ، ثم تكرر التذكير بها في الأسفار التاريخية والنبوءات الأخيرة عشرات المرات ، وهذه نماذج

من نصوصها بما بغى في بيائها عن مواضع تكرارها مع تعقيب كل عهد بالنظر فيه .

مع إبراهيم عليه السلام :

« (١٤) وقال الرب لأبرام - سمى بعد بآبراهيم - ارفع طرفك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً »
 « (١٥) إن جميع الأرض التى تراها لك أعطيا لك وللنسل إلى الأبد »
 « تكوين ١٣ » .

« وحينا شكاً إلى ربه - ولم يكن رزق لئسلا - أن ربيب بيته سيرته جاءه الجواب : « (٤) لا يرثك هذا بل من يخرج من صلبك هو يرثك » « تكوين ١٥ » .

« وجاء بعد هذا : « (٧) وأقيم عهدي بينى وبينك وبين نسلك من بعدك » « (٨) وأعطيتك أرض غربتك لك وللنسل من بعدك »
 جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً » « فصل ١٧ » .

هل تحقق ؟

لقد أقام إبراهيم أخيراً بأرض كنعان ، وجهاً لى مولاه ، بعد أن بلغ رسالة الله ، ولم يذكر له الكتاب المقدس عدا المال المنقول ، وما بناه من المذابح لتقديم القرابين لله ، سوى مغارة قسمى المكفيلة بدفن بها زوجه سارة فى حقل اشتراه خصيصاً لذلك ، وكان صاحبه قد عرضه هبة لإكراما لإبراهيم حينما وجه خطابه إلى بنى حيث بعد وفاة

سارة قائلاً : « أنا غريب عنكم أعطوني ملك قبر عندكم فأدفن مَيِّتى من أمانى » (فصل ٢٣ ص ٣٦) .

كما عرضوا عليه من قبل أن يدفن ميتته فى أى قبورهم شاء ، ولكنه عليه السلام شكرهم ورغب مكاناً خاصاً ، ودفع ثمن ما اشتراه .

ثم مات ابراهيم بشيئة صالحة — على حد تعبير كتابهم — شيخاً قد شبع من الحياة ، ودفن مع زوجه سارة فى المغارة المذكورة ببلدة الخليل . (ف ٢٥ ، ص ٤١) .

مع اسحق عليه السلام :

العهد : وقبل أن ينتقل ابراهيم إلى جوار مولاه ، تحول العهد من ابراهيم ونسله إلى واحد من نسله ، وكان تحوُّله من الابن الموجود فعلاً وهو اسماعيل الى ابن موعود به وهو اسحق ، فمع ما قيل لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل ... وابنُ الأمة — يعنى اسماعيل من هاجر — أيضاً أجعله أمةً فانه نسلُك ، جاء فى العهد ما يلى : » (٢٠) وأما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه ، وهأنذا أباركه وأنميهِ وأكثره جداً جناً ويولد اثني عشر رئيساً وأجعله أمة عظيمة (٢١) غير أن عهدي أقيم مع اسحق الذى تلده لك سارة فى مثل هذا الوقت من قابل » .

فلما ولد اسحق وشب فى كنف أبيه إلى آخر عهد ابراهيم بالحياة ، شارك أخاه اسماعيل فى مواراة أبيهما بعد وفاته ، وأقام فى كنعان ثمناهم بعده بالمهجرة إلى مصر زمن مجاعة بالبلاد فنُهي عن الهجرة ، وأمر بالتزول قريباً من ملك فلسطين فى جرار ، وقيل له : « انزل هذه

الأرض وأكون معك وأباركك لأفنى لك ولنفسك سأعطى جميع هذه البلاد وأنى بالقسم الذى أقسمته لأبيك ابراهيم ، (تكوين ٢٦) .

هل تحقق عهد الأرض لإسحق ؟

نحيب فقرات الفصل المذكور بما مؤداه : زرع اسحق بأرض فى جوار الملك ، وقد لقي منه أول الأمر تقديراً ورعاية ، فبورك له فى زرعه تلك السنة كما يقول كتابهم مائة ضعف ، وعظم شأنه فحسده الفلسطينيون ، وأمره الملك أن يغادر الأرض فتحول عنها ، ومضى إلى واد نزل به هناك (الفقرات من ١٢-١٨) .

وعاش اسحق ما شاء الله أن يعيش ، ولم يُعرف له ملك أرض وميراث ، إلى أن تقدمت به السن ، وحن أوان رحيله عن الحياة فدفنه ولداه عيسو ويعقوب فى نفس مغارة المكفيلة إلى جوار أمه وأبيه .

مع يعقوب عليه السلام :

العهد : ثم اتجه العهد ثلاثة بملكىة الأرض إلى يعقوب وبليه خاصة من دون شقيقه وبكر أبيه عيسو ، بعد أن أخذ يعقوب البركة التى أرادها اسحق لبكره عيسو ، فثألها يعقوب عن غير قصد من أبيه أو رضا ، بحيلة عجيبة ماهمت زوجة اسحق فيها هبة ليعقوب وهى أهمها معاً ، وقد فصلها الفصل السابع والعشرون ، وجاء فيه كذلك أن يعقوب سيكون سيداً لعيسو وجميع اخوته .

جاء العهد ليعقوب في رؤيا منامية وفيها : « أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق ، الأرض التي أنت نائم عليها أعطيتها لك ولنسلك » فاني لا أمهلك حتى أفى لك بكل ما وعدتك » (الفقرات من ١١ - ١٦ ف ٢٨) :

ثم تأكد ذلك في خطاب صريح ، وقد سمى اسرائيل بدلا من يعقوب ، وفيه يقول : « (١٢) والأرض التي جعلتها لإبراهيم واسحق لك أجعلها ، ولنسلك من بعدك أجعل الأرض » (تكوين ف ٣٥) :

هل تحقق ؟

وهل تمت ملكية الأرض وميراثها ، وسيادة يعقوب على أخيه عيسو لقد شرحت عدة فصول هرب يعقوب من أخيه عيسو ، وتوجهه إلى خاله ، وزواجه من بنتي خاله ، وخدمته أباه سبع سنين ثم عودته موفورا بمال منقول ، واسترضاءه أخاه إلى حد السجود سبع مرات بين يديه (١) ، وكل ملك يعقوب من الأرض بعد هذا قطعة حقل صغيرة اشتراها بمائة نعجة ضرب خيامه بها ، وأقام عليها ملجأ تقدم فيه القرابين لله ، ثم رحل عنها وتركها (تكوين ص ٥٧ - يشوع ص ٣٩٠) .

وانتهى المطاف بيعقوب في مصر بآله وبليه بدعوة من مليكها ، على أثر مجاعة حلت بفلسطين وكان يوسف أثناءها على خزائن مصر في

(١) سناق الإشارة إلى ذلك بشئ من التفصيل عند الكلام على مسألة الألوهية في الكتاب المقدس .

قصته المعروفة ، وأقام يعقوب في مصر حتى تمام حياته ، ولم يرد
من أرض كنعان أكثر من دفنه بعد وفاته مع سلفه الصالح في مغارة
المكفيلة وقد تم له ما أراد .

رأى لبعضهم :

يرى بعض الكاتبيين أن عهد الله لإبراهيم بأرض فلسطين الذي
لوهت به التوراة بعم أبناءه جميعاً من العرب والإسرائيليين ، وتخصيص
العهد جاء من طمع اليهود وكذبهم المعهود .
فهل يبرر النظر الدقيق ما يقوله هؤلاء الكاتيون ، وهل يكون العهد
الإلهي لهؤلاء الأنبياء المكرمين عهد أرض يملكوتها ويورثونها الأقباب
اللاحقين ؟

لعل مما يفيد في تحديد الجواب الحاسم عن حقيقة العهد — إلى جانب
ما سبق — أن نذكر من أبناء إبراهيم على سهيل المثال مدين ، ولم ينل
من العهد شيئاً — على حد قولهم — فقد خص به اسحق من دون أخوته ،
لكن مدين كما ذكر كتابهم نال أرضاً واسعة ملك عليها ، لم ينل
مثلاً أخوه اسحق ، وبعد مدين بنوه قامت فيهم ومنهم الملوك (راجع
صفر العدد فصل ٢٢ ، ٣١) .

كذلك من أبناء اسحق عيسو الذي حرم العهد وظفر به أخوه
يعقوب ، وقد بدا في رواية كتابهم وافر الثراء عظيم الجاه ، يخافه
يعقوب ويهر من وجهه ، فلما اشتد عود يعقوب وعاد إلى أخيه
سجد بين يدي عيسو كما سبق ، وتبعه في السجود زوجته وبنوه
وإماؤه حتى رضي عنه عيسو وتلقاه بالترحيب (تكوين ٣٣) .

وعيسو هذا يسمى أدوم ، وهو أبو الأدوميين ، وملكك من نسله ملوك عديدون قبل أن يقوم أي ملك في بني اسرائيل ، عدد الفصل السادس والثلاثون منهم ثمانية وصدر لهم بأنهم ملكوا قبل اسرائيل - على حين أن يعقوب عليه السلام انتقل بآله جميعاً إلى مصر ، وظل بنوه وأحفاده خارج البلاد المقدسة لبضعة قرون .

• • •

لئن كان العهد عهد أرض ومادة لقد تخلف العهد عن ابراهيم ، وتخلف عن اسحاق ، وتخلف عن يعقوب برغم النص على كل منهم وبنيه من بعده ، وظل متخلفاً بعد يعقوب أكثر من أربعة قرون ، فلما بُعِث موسى وأخرج بني اسرائيل من العذاب المهيّن لهم بأرض مصر واتجه بهم إلى فلسطين جنبوا عن دخولها وظلّوا في التيه بالصحراء هشرات السنين ، ولما دخلوها بعد موسى (١) لم تركز إليهم أرضها ، ولم يدم ملكهم بها ، ثم عادوا إلى التيه العام نحواً من عشرين قرناً .

وسؤال البداهة أن يقال : فأين محصل تلك العهود الإلهية القاطعة ؟ أليس من حق الباحث أن يرى أن عهود الأرض وميراثها ليست سوى عهود أرضية زائفة ، يكذبها الواقع التاريخي ويتقضاها على غير قصد منهم كتابهم ، وترفضها سنة الله الحكيمة مع انبيائه الكرام نحن معاصر الأنبياء لانورث ، ما تركناه صدقة ، لأنهم لا يورثون

(١) مات موسى ودفن في أرض الموابين (ص ٣٤٣) وهم من سلالة لوط ابن أخ ابراهيم ، وفي كتابهم أن هذه الأرض ليست لبني اسرائيل إذ هي هبة من الله لأبناء لوط (ص ٢٨٩ سفر تثنية الاشتراع) .

درهماً ولاديناراً ، إنما يورثون علماً وهدى ورحمة وذلك هو الفضل
المبين :

يقول الأستاذ العقاد — طيب الله ثراه — عن تحولات العهود لدى
اليهود : « وتحولت الوعود الآلهية في كتبهم تحولاً جديداً مع مصالح السياسة
فقد كان اله عد لابراهيم فحولوه إلى اسحق ليخرجوا منه أبناء إسماعيل
ثم حولوه إلى يعقوب ليحصروه في سلالة اسرائيل ، ثم حولوه إلى
ذرية داود ليحصروه في مملكة الجنوب دون مملكة الشمال ، وهكذا
كان وعد صهيون وعداً سياسياً تابعاً للمآرب الدولة ومآرب الهكل
الذي يقام في جوارها ، فلا شأن له بالعقيدة التي تنتظم جميع سلالة
ابراهيم » (الصهيونية العالمية ، ص ١٢) :

تتمة العهود :

أما العهد لداود وذريته على ما أشار العقاد رحمه الله فله شأن
آخر في واقعه ومصيره ، لقد كان لابراهيم وبنيه من بعده ملكية
أرض غربتهم في فلسطين قبل الميلاد بنحو ألفي عام ، على تفاوت
بين المؤرخين ، فلما جاء داود ومن بعده سليمان حول القرن العاشر
قبل الميلاد كانت لبني اسرائيل دولة في فلسطين ، فجاء العهد على
ماروته أسفارهم التاريخية ببقاء الملك في بيت داود ومن بعده سليمان
إلى الأبد مشروطاً بالتمسك بأداب الدين ، وحفظ تعاليم الشريعة
بغير انحراف ولا تفريط ، مع الوعيد بسوء العاقبة إن حادوا عن الطريق
المرسوم .

سليمان وعهد الرب :

جاء في الفصل التاسع من سفر الملوك الثالث بعد أن أتم سليمان بناء بيت الرب ، وتجلي له وقد سمع صلاته وتسيحه وتضرعه ، وقطع معه العهد قائلا : « (٤) وأنت إن سرت أمانى كما سار أبوك داود بسلامة القلب والاستقامة ، وعملت بجميع ما أمرتك به ، وحفظت رسوى وأحكامى (٥) أقر عرش ملكك إلى الأبد كما كلمت أباك قائلا : لا ينقطع لك رجل عن عرش اسرائيل (٦) وإن حدثم زائغين عن اقتفائى أنتم وبنوكم ولم تحفظوا وصاياى ورسوى التى جعلتها أمامكم وذمبتهم وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها (٧) فاني أقرض اسرائيل من وجه الأرض التى أعطيتها لهم ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من حضرتى فيكون اسرائيل مثلاً وأحدوثة بين الشعوب بأسرها (٨) وهذا البيت يكون عبرة فكل من مر به ينذهل ويصغى ويقول : لماذا فعل الرب كذا بهذه الأرض وهذا البيت (٩) فيجيب لأنهم تركوا الرب إلههم... وتمسكوا بآلهة غريبة وسجدوا لها وعبدوها... » (٩ف ص ٥٧٠) .

مصير هذا العهد :

ولم يمحض على هذا الكلام سوى فصل واحد في صفتين حتى وصم كتابهم سليمان عليه السلام بنقض العهد ، ونسب إليه شناعة للكفر ، وذكر أن نساءه العديداً ملن بقلبه إلى اتباع آلهة غريبة وقال : « (٥) وتبع سليمان عشتاروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس

بني عمون (٦) وصنع سليمان الشر في عيني الرب ... الذي تجلي له مرتين وأمره الاتبع آلهة أخرى... فلم يستجب له ، فغضب عليه ، وأثار عليه بعض أعدائه ، وأوعده بشق ملكه بعده ، ولكنه أكرمه ببقائه مدة حياته من أجل أبيه داود (١١ ص ٥٧٤) .

براءة سليمان :

ولقد برأ الحق جل جلاله ساحة سليمان من شناعة الكفر والزيف ، وعصمه بالرسالة والوحي ، ومنحه العلم والحكمة ، وعلمه منطق الطير ، وسخر له الريح تجري بأمره ، ووهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وإنه لذلك لأهل ، وإنها لعقيدة كل مسلم .

ولكننا سقنا ما سقناه من كتابهم المقدس !!! شهادة من الخصم على نفسه لا على سليمان ، عليه وعلى نبينا وجميع رسل الله أفضل الصلاة والسلام ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » وتلك شياطينهم الملعونون على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون ، يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ويحرفون الكلم عن مواضعه .

ولقد انشق ملك بني اسرائيل بعد سليمان ، ونفى الله البيت الذي بناه سليمان من وجهه بظلمهم لابطالم سليمان ، وسلط عليه من الجنود من أزالوه ، فولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ، ثم ورث الله أرضه قوماً صالحين « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين » .

حقيقة العهد :

وصفوة القول في ذلك أن عهد الله لإبراهيم ليس عهد ميراث أرض له ولبلبيه مشروطاً أو غير مشروط ، فأبراهيم أبو الأنبياء ، احتمل في سبيل الدعوة إلى الله ما لم يحتمل مثله أحد تقدمه ، جاهد بنفسه حتى ألقاه جبابرة الأعداء في النار فأنجاه الله ، وقدم ولده قرباناً لربه لولا فداء سبق من الله ، وكان مادون النفس والولد من وطن ومال ودنيا لله وفي سبيله ، فكان للأوفياء قدوة ، وللمجاهدين علماً ، وللناس إماماً ، وكما قال سبحانه : « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً » قال ومن ذريتي قال : لا ينال عهدي الظالمين » .

وعلى تهج إبراهيم كان الاختيار من ذريته « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ... » وإذا رفع إبراهيم للقواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا ونب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

« ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوّة والكتاب »

ومن هنا تحقق عهد الله لإبراهيم وبنيه ، تحقق لإسماعيل وإسحق ، وتحقق ليعقوب وليوسف الصديق من بعده وكل بلغ رسالة ربه . وتحقق من بعدهم لموسى وهرون ولداود وسليمان وغيرهم ثم لعيسى

ابن مريم ، وتم العهد بمحمد خاتم النبيين وكما قال : « أنا دعوة
أبي ابراهيم » وبهذا كان تحقيق الوعد كاملا ، وجاءت النبوة في الهداة
المرشدين من ولد ابراهيم أجمعين »

بنو اسرائيل في مصر :

أوليتهم : يذكر كثير من المؤرخين أن أول دخول بني اسرائيل
مصر كان في عهد يوسف الصديق ، حيث وفد عليه أبوه وإخوته ،
ومن نسلهم تكاثر بنو اسرائيل إلى عهد موسى : وكان اضطهاد
فرعون لهم إلى أن خرج بهم موسى - كما ورد في القرآن الكريم -
واجتاز بهم البحر في معجزة ظاهرة إلى صحراء سيناء في طريقهم إلى
الأرض المقدسة ، حيث جنبوا عن دخولها بحجة أن فيها قوماً جبارين
وقالوا لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ففضوا
في التيه أربعين عاماً ، ولم يدخلوها إلا بعد موسى وهارون »

وفي الكتاب المقدس ما يفيد أنهم كانوا معروفين في مصر زمن
يوسف ، وقبل دخول أبويه وإخوته ، وأنهم كانوا محل زراية
وتحقيق من المصريين ، بحيث لم يشفع لهم ما بلغه يوسف بشخصه من
مكانة مرموقة على خزائن مصر وعند مليكها »

جاء في الفصل ٤٣ من سفر التكوين في ذكر دخول إخوة يوسف
ومعهم شقيقه الصغير ما يلي : (٣٠) ثم أسرع يوسف وقد تحرك
فؤاده نحو أخيه وأراد أن يبكي فدخل المخدع وبكى هناك (٣١) ثم
غسل وجهه وخرج وتجلد وقال : قدموا الطعام (٣٢) فقدموا له

وحده ، ولهم وحدهم ، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ، لأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين (ص ٧٦) .

حفاوة بالغة :

ومع هذا فكان ورود إسرائيل عليه السلام وبليته محل "حفاوة بالغة وترحيب كريم" ، فقد ذكر في الفصل الخامس والأربعين وما يليه من سفر التكوين سرور فرعون وعبيده بقدوم إخوة يوسف عليه السلام ودعوة فرعون لهم ولأبيهم ليقيموا بأرض مصر ، وأن فرعون لم يشأ أن يرخلوا اليه من كنعان على الدواب فأرسل عجلات لتحمل يعقوب وآله مكرمين ، فلما قدموا معهم ماشيتهم رحب بهم أهل الترحيب ، وقال ليوسف : أرض مصر بين يديك أنزلهم بأجودها ... وأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر بجاسان (من أرض الشرقية) وكانوا قريباً من سبعين نفساً فتملكوا ونموا وكثروا جداً وأقاموا أكثر من أربعة قرون :

ومضى فرعون (١) هذا كريماً ، قد استجاب لنبي الله يوسف وآمن به ومرت الأيام وصار الاسرائيليون مئات الألوف وتبدل الحال من نعمي إلى بؤسي ، وجاء فرعون (٢) آخر طاغية علا في الأرض وجعل أهلها شعباً ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي لساءهم ، فبعث الله موسى وهرون بأمره الى فرعون « أن أرسل مغنا

(١) ويسمى عند مؤرخي العرب الريان بن الوليد الكامل - ص ١ - ٨٢

(٢) ويسمى الوليد بن مصعب الكامل - ص ١ - ٩٥

بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من
اتبع الهدى » .

وكان ما قص الله من شأنهم فى القرآن الكريم ، وقريب منه
ما حدث به كتابهم ، حتى تهيأ لموسى الخروج من مصر ببنى اسرائيل .

خروجهم من مصر :

تحدث الكتاب المقدس عن خروجهم من مصر ، وتوجههم إلى
أرض فلسطين ، وعن أخبارهم فى الطريق ، وتمردهم على نبيهم ،
وكفرهم بآيات الله ، وعقابهم بالتيه فى الصحراء حتى انقرض الجيل
الشرير كما يسميه كتابهم .

وكان خروجهم بعد إقامة امتدت إلى أربعمائة وثلاثين عاماً بأمر
الرب الذى وعدهم — كما قيل — أن يعطيهم حظوة فى عيون المصريين ،
لا ليعيشوا معهم فى سلام ، ولا لينصرفوا إذا انصرفوا بسلام ، ولكن
ليسرقوهم وهم خارجون .

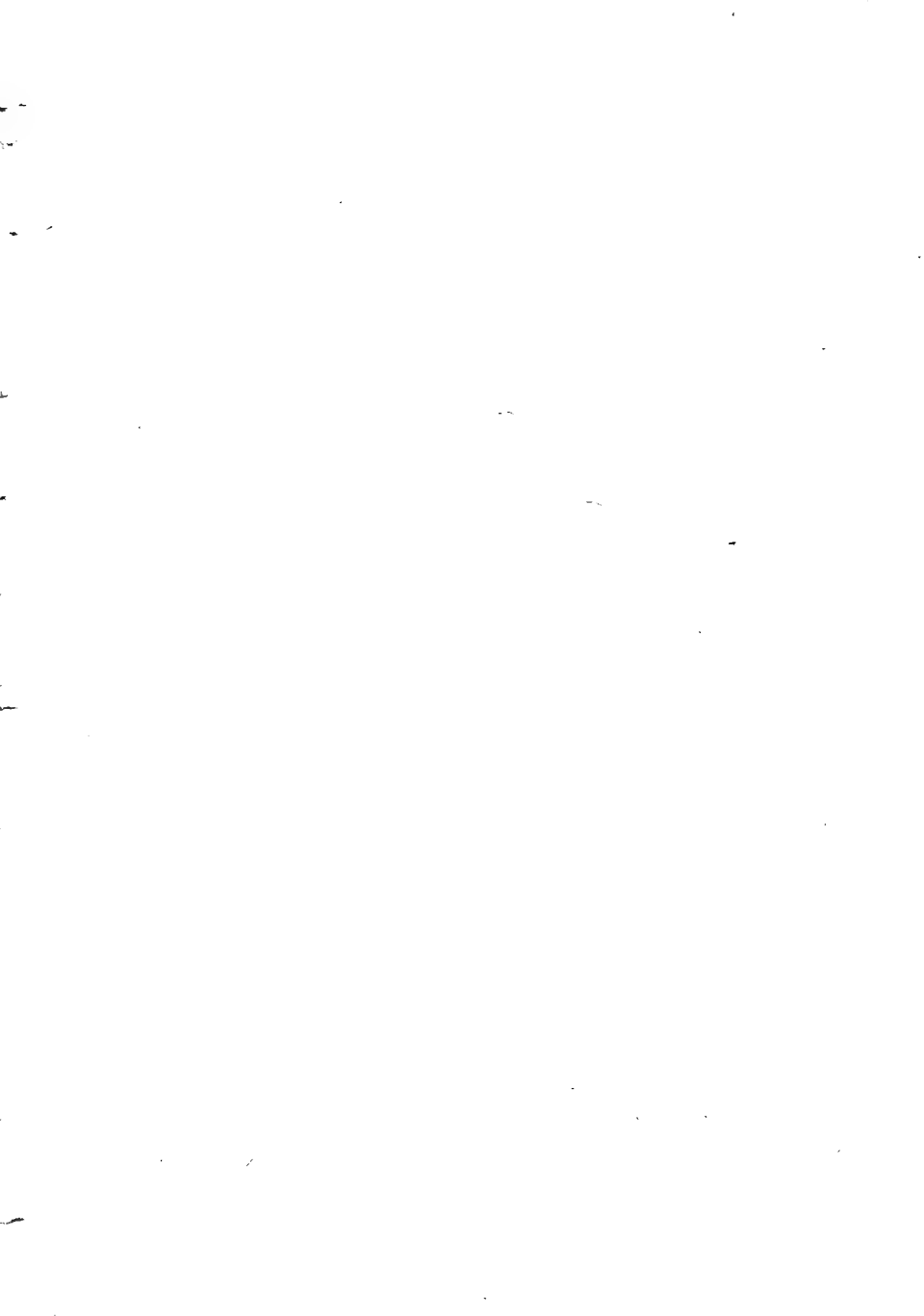
جاء فى سفر الخروج ٣ ص ٩٦ ما يلى : « (٢١) وأهب الشعب
حظوة فى عيون المصريين فاذا انصرفتم فلا تنصرفوا فارغين (٢٢) بل
تطلب المرأة من جاريتها ومن نزيله بيتها أمتعة فضة وذهب وثياباً
تجعلونها على بنيكم وبناتكم وتسلبون المصريين » .

ولما أرادوا الخروج أعدوا عدتهم ، وأحكموا فى السلب خطتهم ،
ونسبوا ذلك الى نبي الله موسى عليه السلام . وكما قال كتابهم
فى ص ١١١ ، ١١٢ من سفر الخروج ما نصه :

» (٣٥) وصنع بنو إسرائيل كما أمر موسى ، فطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، (٣٦) وآتى الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين ، فأعاروها لهم وسلبوا المصريين .

* * *

وقد يُظَنُّ أن ذلك تعويض لهم من أموالهم التى تركوها ، ولكن الفقرات التى تلت ما سبق ناطقةٌ بغير ما تبادر إلى الأذهان اذ تقول :
» (٣٧) ثم ارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت بنحو ستمائة ألف من الرجال خلا الأطفال ، (٣٨) وخرج معهم أيضاً لفيف كبير وغنم وبقر ومواشى وافرة جداً ، (٣٩) فاخترزوا العجين الذى خرجوا به من مصر مليلاً فطيراً إذ لم يكن قد اختمر .



الفصل الثاني

من مصر إلى التيه

وَقَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ، أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .

صدق الله العظيم

في طريقهم إلى الأرض المقدسة - تفضيل - على مشارفها -
التيه أولاً وآخرأ - من سلوكهم في التيه - كفر - فساد - عمود -
عصا هرون آية - شرور .

دستور مقدس للإبادة : الأمم البعيدة والأمم القريبة - شق بطون
الحوامل - أحقاد موروثة ...

في طريقهم إلى الأرض المقدسة :

خرج بنو إسرائيل من مصر في عدد ظاهر ومال وافر ، بعد عدة
من فرعون وملئه أن يدعوا موسى وقومه يعبدون ربهم في الخلاء ،
ويقدمون إليه القرابين ، وذلك على أثر ما رأوا من آيات بينات أخذت

فرعون وشعبه أخذاً شديداً، فصلَّها الفصلُ الرابع وما يليه من سفر الخروج ، وصدق جُمْلَتها القرآن الكريم .

ولكن بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام جدُّوا في سيرهم متجهين خارج البلاد فاتبعهم فرعون وجنوده ليردوهم إلى ما كانوا فيه من بلاء وتسخير ، « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معى ربي سيهدين » فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأنجى الله موسى ومن معه أجمعين ، وأغرق فرعون وشيعته الظالمين .

* * *

مضى موسى وقومه إلى سيناء ليدخلوا الأرض المقدسة كما أمرهم الله سبحانه ، ولكن قومه لم يجاوزوا إلا قليلاً حتى نسوا الله الذى أنجاهم ، وطرحوا كلَّ ما رأوا من آيات بينة ، ومعجزات باهرة ، وتاقت نفوسهم إلى الوثنية وكأن لا عهد لهم بإيمان ، فقالوا وقد رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم : « يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبتر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال أغبر الله أبغىكم إلهة وهو فضلكم على العالمين » .

تفضيل :

نعم فضلهم الله تعالى على فرعون وملئه الخاطئين ، وفضلهم على ساكني فلسطين من الوثنيين ، وفضلهم سبحانه إكراماً لإبراهيم واسحق ويعقوب وإليه ينتسبون ، وفضلهم بموسى وهرون ولا حرج

على فضل الله ، يوثيه من يشاء من عباده « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » .

بفضل الله ورحمته وحكمته يعلمها فضلهم ، لا بخير ظاهر وبر واضح ، وكما يقول كتابهم بلسان الرب سبحانه : « اسمع يا إسرائيل : لا برك واستقامة قلبك أنت آت لنملك أرضهم ، ولكن لأجل إثم أولئك الأمم ، إنه ليس لأجل برك ... لأنك شعب قاسى الرقاب » (١) ،

فهم والأنبياء فيهم - على أى حال - أقل شراً من سواهم ، وبعض الشر أهون من بعض ، وعسى أن يكون منهم من يعبد الله خالصاً له الدين ، وقد كان والحمد لله ، وقليلاً ما كان .

على مشارفها :

أشرف بهم موسى على الأرض المقدسة مستقر إبراهيم وبنيه ، وبلد المسجد الأقصى المبارك حوله (٢) ، ورأى أن يبعث العيون من رؤسائهم يرتادون للشعب ، ويستطلعون أخبار القاطنين بها ، فعادوا بعد قليل ليخلعوا قلوب قومهم من هيبة أعدائهم ... ولم يُجِدْهم

(١) ص ٣٠٣ ف ٩ تشنية الاشتراع .

(٢) بنى إبراهيم عليه السلام عدداً من المعابد (المذابح) تقدم عليها القرابين ، وبنى بثوة من بعده عدداً منها . كما بنى سليمان عليه السلام هيكله التاريخى وذلك بعد موسى بعدة قرون وقد هدم عدة مرات وأعيد بناؤه ثم أزيل نهائياً قبل الاسلام بزمان طويل أما المسجـة الأقصى المتعارف عليه فقد بنى فى جزء من الحرم زمن الوليد بن عبد الملك والحرم كله مسجـة - وسيأتى بيان ذلك فى موضعه .

تشجيع رجلين (١) من الرواد وتذكيرهما بنصر الله وأياديه عند بني إسرائيل ، وتلدور بينهم وبين موسى مناقشات حادة يلومونه على أن أخرجهم من مصر ، حتى لقد همَّ بعضهم أن يقيم عليهم رئيساً غير موسى يرجع بهم .

جاء في الفصل الرابع عشر من سفر العدد ما يلي : (١) فرفع الشعب أصواتهم وصرخوا وبكى الشعب في تلك الليلة ، (٢) وتذمر على موسى وهرون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة يا ليتنا متنا في أرض مصر ، يا ليتنا متنا في هذه البرية ، (٣) لماذا أتى الرب بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ، (١٤) وقال بعضهم لنقم رئيساً ونرجع مصر .

ونمضي الفقرات مفصلة وعيد الله سبحانه بضربهم بالوباء حتى يبيدوا ، كما تذكر قبول الله سبحانه تضرع موسى وهرون وبعض المخلصين على أن يتبها في الصحراء حتى تنقرض هذه الجماعة الشريرة ثم لا يدخلها إلا بنوهم ومن أطاع موسى وما أقل الطائعين .

التيه أولاً وآخرآ :

لقد كان التيه الذي بدأ بنو إسرائيل به حياتهم بعد خروجهم إلى فلسطين ، والذي بدا محدود الزمان والمكان مقدمة لتيه في الحياة بغير

حدود ، لقد قضوا بسيناء أربعين عاماً أخذوا فيها بضروب الشقاء والعناء كلما عمدوا على نبيهم ، وانحرفوا عن تعاليم ربهم ، كما رأوا أثناء ذلك من آيات الله وأنعمه الشيء الكثير ، ثم دخلوا فلسطين بعد هرون وموسى بقيادة يشوع بن نون ، وقام فيهم القضاة والأنبياء ، ثم الملوك الشداد كداود وسليمان عليهما السلام ، ولكنهم — كما سئرى من تاريخهم — لم يتوطنوا البلاد مواطنين صالحين ، ولم يستقروا بها طويلاً حتى كانوا حصيذاً لل سيف ، جاءهم ذلك من غيرهم ومن أنفسهم ، ثم أكرهت بقيتهم على الجلاء راغمين أذلة ، ثم على التيه العام فى أقطار الأرض وشعوبها ، تلتقطهم البلاد ، وينكرهم العباد ، لا يُخلصون لشعب ولا وطن ، ولا يسغفهم شعب ولا وطن ، فاذا شكوا من الغير ظلماً واضطهاداً فى نفسيتهم وسلوكهم أسباب هذا الظلم والاضطهاد « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وسئرى بحول الله بيان ذلك فيما يلى من حديث .

من سلوكهم فى التيه :

لقد أكرمهم الله تعالى بموسى وهرون عليهما السلام ، وأنزل التوراة فيها هدى ونور ، وأراهم من الآيات ما فيه مزدجر لقوم يعقلون ، وتقلب بهم الأمور ، واستوطنوا المدن ، وتوالى فيهم الهداة والمرشدون ، فما أخرج كل ذلك منهم أمة قويمة السلوك ، ولا صنع منهم شعباً سليم الأخلاق ، بل مَرَرُوا على نقض ما عاهدوا الله عليه ، فكان عاقبة أمرهم خسراً .

لقد مضوا في الصحراء وأمامهم مجدُّ الرب في ظلِّل من الغمام يهديهم ، ورزقهم ينزل عليهم من السماء رغداً ، وعذب الماء يتفجر لهم من الصخر الأصم ، وقطعُ السحاب تظلمهم من حرارة الشمس المحرقة ، وملابسهم على أجسامهم لا تبلى ، ومع هذا وغيره فكثيراً ما يتمردون ، وقليلاً ما يشكرون .

كفر :

يذهب موسى إلى ميقات ربه ثلاثين ليلة ، فلما أتمها الله له أربعين ، كفروا بموسى وإله موسى وقالوا ساخرين : « فان ذلك الرجل موسى الذي أخرجنا من مصر لا نعلم ماذا أصابه ثم اتخذوا لهم من الذهب إلها يطوفون حوله ويأكلون ويشربون ويلعبون » ويقول بعضهم لبعض : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من مصر ، ولم يبالوا بنصح نبي الله هرون ، فلما عاد موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، واشتد في اللوم على أخيه : « قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » وذكره بما علمه عنهم فقال كما في كتابهم « أنت عالم بالشعب لأنهم أشرار » .

ثم لم يشك بعض هذا الشر من نفوسهم إلا شفار الأسنة يسلمونها ليضرب بعضهم رقاب بعض ، ويسقط منهم وبأيديهم في حساب التوراة نحو ثلاثة آلاف عادوا بعدها إلى الطاعة نادمين (١) .

فساد :

وتقذف الصحراء بهم من مكان إلى مكان ، فاذا حلوا بموضع فسدوا به ، وأفسدوا فيه ، أقاموا قريباً من الموآبيين^(١) في مناطق شرق الأردن ، وموسى وهرون فيهم ، فلم يحفظوا ديناً ، ولم يصونوا أديباً ، ولم يحسنوا جواراً ، وذكر في هذا كتابهم المقدس أنهم فجروا مع بنات الموآبيين وتعلقوا بأصنامهم ، وسجدوا لآلهتهم ، ولم يكد موسى بأمر بقتل كل من أرتد عن دينه حتى أقبل رجل اسرائيلي « وقدم إلى إخوته امرأة مدينية على عيني موسى وعيون كل جماعة اسرائيل ... » ولولا حمية أحد كهانهم الذي تتبع الرجل الاسرائيلي والمرأة بطعنة نافذة ، وقيام موسى ومن معه من الرؤساء للرب أمام شمس الصحراء للتضرع والبكاء ، ما كُفَّت الضربة التي قضت على أربعة وعشرين الفاً . (سفر العدد ٢٥ ، ص ٢٦٢) .

تمرد وحسد :

ولما طال عليهم الأمد قليلاً تأمروا على موسى وهرون حسداً على مكانتهما ، وأنكروا عليهما فضل الله ونعمته ، وقال قائلهم بلسان مائتين وخمسين من رؤسائهم : « إن الجماعة كلهم مقدسون ، والرب فيما بينهم ، فلماذا ترفعان على جماعة الرب » وتقدم الرؤساء ليقوموا بمراسم العبادة ويقدموا القرابين ، لا حباً في عبادة وإخلاصاً في طاعة ، ولكن مشاققة لموسى وهرون ، غير عابئين بانذار موسى لهم وتحذيره

(١) ينسبون في سفر التكوين إلى نبي الله لوط عليه السلام من إحدى ابنتيه في شذاعة سطرتها الفقرات ٣٠ وما بعدها ١٩ ص ٣١ ، وجلت عنها عصمة الأنبياء ، ومنهزمي لها في فصل كتاب اليهود المقدس والأخلاق ... ونبين سر القرية .

إياهم حتى انشقت الأرض فابتلعت المخالفين وبيوتهم وأموالهم ، كما
خرجت نار فأكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور ،
على مرأى من جموعهم حيث فر الباقون مذعورين .

فلما أفاق الشعب من هول ما رأى عاد في اليوم التالي إلى التذمر
قائلاً لموسى وهرون : « قتلنا شعب الرب » واجتمعوا عليهما ، ولم
يكفوا عنهما حتى أخذتهم ضربة شديدة لم تنجل عنهم الا بتكفير هرون
عن خطاياهم كما أمره موسى ، وقد مات منهم في هذه الضربة وحدها
أربعة عشر ألفاً وسبعائة عداً من خسف بهم ، ومن أكلتهم النار من
بينهم (سفر العدد فصل ١٦ ص ٢٤٦) .

عصا هرون آية :

وأراد موسى أن يبرهن لهم على اصطفاء الله تعالى لهرون ،
فأخذ من كل رئيس عصاه وكتب على كل عصا اسم صاحبها — بأمر
الرب — ومن بينها عصا هرون ، ثم وضع جميع العصي في مكان مقدس
إلى الغد ، فلما أصبحوا « إذا عصا هرون قد أفرخت فأخرجت براعم
وأزهرت وانضجت لوزاً » ونظرها جميع بني إسرائيل ، ثم أخذ كل
رئيس عصاه ، وحفظت عصا هرون كما يقول الكتاب : « آية لذوى
التمرّد » ليكفوا فلا يهلكوا ، ولكنهم لم يكفوا وقالوا متدمرين ومنكرين
« كل من دنا إلى مسكن الرب يهلك ، ترى أنهلك جميعاً ؟ »
(فصل ١٧ ص ٢٤٩) .

نعم لم يكفوا ولم يكتفوا ، بل عاودوا السخط على موسى ورب
موسى الذى أصعدهم من مصر ~~مجموعوا~~ — على حد قولهم — في البرية ،

ثم لم يثوبوا إلا بحيات نارية تلدغهم فتقتل الكثير منهم فلما صرخوا إلى موسى تضرع إلى ربه ليكشف ما بهم ، ثم صنع لهم بأمر الرب حية من نحاس يراها اللدغ فيبرأ . (ص ٢٥٥ من نفس السفر) .

* * *

هذا بعض ما رواه كتابهم المقدس من سلوكهم في التيه ، وإنه لغضب من فيض ، عدا بعض الوقائع والغارات على الوادين ، ينتصرون حيناً ، وحيناً ينكسرون ، وفي كل تلك الحالات لا ترى إلا طباع سوء شواء ، حتى ليطالعك دائماً في تصرفاتهم مصداق ما يردده كثيراً كتابهم ، من أنهم شعب صلب الرقاب ، وأنهم قساة القلوب أشرار ، وصدق الله العظيم إذ يقول لموسى في شأنهم « فلا تأس على القوم الفاسقين » .

شُرور :

وانقضى أمد التيه أو كاد ، وانقرض الحيل الشرير الذى توعد به الرب على لسان موسى عليه السلام ألا يريه الأرض التى أمره بالدخول إليها من أجل عصيانه ونكوله عن الجهاد ، ومات كل من كان فى بدء التيه فوق العشرين ، حتى موسى وهرون وداود بنهم كانا فى الطليعة الاثنى عشر التى جاست بأرض كنعان ولم يجبنا كما جبن زملاؤهم ، فكوفنا بالبقاء حتى يريا الأرض المقدسة أحدهما قائداً بنى إسرائيل بعد موسى ، وهو يشوع بن نون ، الذى حارب عدداً من المدن وانتصر عليها وأبادها ، وأخيراً استطاعوا أن يقيموا جزءاً من فلسطين ، ولكنهم لم يكونوا مقيمين خيراً منهم مشردين ، فقد

ظلت الحروب والمنازعات بينهم وبين جيرانهم لا تهدأ حتى ثور ، وطابع الحروب الاسرائيلية التي سجلتها فصولهم فريد في الإبادة والتدمير فلما ارتد عليهم سهمهم ، وكيل لهم بكيدهم لم يكن بد من إبادتهم المرة بعد المرة ، حتى طهرت الأرض المقدسة من بقايا أرجاسهم في القرن الأول من ميلاد المسيح عليه السلام إلى أوائل القرن العشرين .

• • •

لقد كانت شرورهم بغير حدود ، وما ظفروا بعدو - وعدوهم كل من ليس منهم - إلا تمثلت فيهم أسوأ طباع الوحوش الكاسرة التي لا تنصب فحسب على المحاربين ، ولا على بنى الانسان بل كثيراً ما شملت الحيوان والنبات والجماد ، وطائر السوء يجرى من حولهم ، محدثاً بأنباتهم فلا ترى أحداً من أهل البلاد يثق بهم - جاء في الفصل الثانى من سفر تثنية الاشتراع ص ٢٩٠ بعد ذكر طلبهم من الملك صيحون المرور بأرضه فى طريقهم إلى الأرض المقدسة ، وأنه خافهم على ملكه وجمع لحربهم ما يأتى : « (٢٢) فخرج علينا صيحون بجميع قومه للحرب إلى يا هص ، (٢٣) فأسلمه الرب إلحنا بين أيدينا فقتلناه هو وبنيه وجميع قومه ، (٢٤) وفتحنا جميع مدنه فى ذلك الوقت وأبسلنا كل مدينة رجالها ونساءها وأطفالها ، لم نُبْقِ منهم باقياً . » وكذلك صنعوا بعوج ملك باشان وجميع مدنه وما فيها من الرجال والنساء والأطفال كما سجله الفصل الثالث من السفر المذكور .

دستور مقدس للقهر والإبادة :

ونعنى بالدستور المقدس لديهم تلك التعاليم البالغة عنفاً وقسوة

ووحشية ، حتى لا تكاد فطرة إنسانية سليمة تتخيلها حقيقة واقعة ما لم ترها مدونة ومسجلة في كتابهم المقدس بتفصيل وتأکید وإصرار ، مع التهديد والوعيد بسوء مصيرهم إن هم أخلوا بتطبيقها ، أو تهاوؤوا في الأخذ بها .

إن هذا الدستور اليهودي يجب أن يعلمه كل مواطن ، ويحبه كل عربي ، ليعرف أي شر ذلك الذي ملأ قلوب يهود إسرائيل وصدورهم على المواطنين العرب في فلسطين والشعوب المجاورة ، وليدرك تماماً أصالة ما يبيتون لشعوب المنطقة بأسرها ، مما بدت نلره ، واستطار شرره ، ويوشك لو ترك أن يكون جحماً يتسعر ، فيعلم أن الأمر ليس طارئاً لغاية سياسية وإن تلاقت معه سياسات الاستعمار ، ولا موقوتاً بآمد حرب أو فترة هدنة ، بل هو دين يهودي لإسرائيل تصدر منه ولا تحيد مختارة عنه .

لو كان ما يأتيه اليهود من جرائم بشعة عملاً طارئاً يخالونه تثبيتاً للحكومة ، أو تأكيداً لسياسة ، أو دفاعاً عن النفس ، ولو أن تلك القسوة التي تمثلوها كانت من وحي الظروف المحيطة بهم أو من آثار الولايات التي طالما كرتهم على مدى تاريخهم ، أو من باب المعاملة بالمثل لرجى أن تزول بزوال البواعث عليها ، أما أن تستمد روحها من تعاليم الدين ، وتنزل من نفوسهم منزلة اليقين ، وتسقاها قلوبهم منسوبة إلى الهداة المرشدين ، فذاك الداء الذي لا أمل معه في دواء ، ولا يرجى منه شفاء ، ما دام للدين أتباع ، وما قامت باتباعه تلك التعاليم .

إن كتابهم الذى يدينون به بأمرهم أن يفرقوا بين الأمم القريبة والبعيدة فى شئون الحرب ، فالمدن من الأمم البعيدة التى يتقدم إسرائيل لحاربها يتعبدوها ويفرض الجزية عليها ان هى سالت ، فان حاربته وانتصر عليها فعليه أن يضرب كل ذكر فيها بحد السيف ويغرم باقيها . أما مدن الأمم القريبة فان لها شأنًا آخر ، ان على إسرائيل أن يستأصل كل نسمة فيها ، ومحظور عليه أن يقطع معهم عهداً ، أو تأخذه بهم رافة ، لأن هذه الشعوب ميراث إسرائيل فان لم يفعل فقد حل عليه غضب الرب وعرض نفسه للإبادة :

جاء عن المدن البعيدة ما يلي : (فصل ٢٠ ص ٣٢٠ من سفر تثلية

الاشراع) :

« (١٠) وإذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها فادعها أولاً إلى السلم ، (١١) فاذا أجابتك إلى السلم وفتحت لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون تحت الجزية ويتعبدون لك ، (١٢) وإن لم تسالك بل حاربتك فحاصرتها ، (١٣) وأسلمها الرب إلهك إلى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف ، (١٤) وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما فى المدينة من غنم فاغنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التى أعطاكها الرب إلهك ، (١٥) هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن أولئك الأمم هنا .

وعن المدن القريبة مايلي :

(١٦) وأما مدن أولئك الأمم التى يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق منهم نسمة ، (١٧) بل أبسلهم إبسالاً تاماً وبأق فى موضع

آخر من نفس السفر تفصيل ذلك (ف٧) على النحو التالى: (١) وإذا أدخلك الرب إهلك الأرض التى أنت صائر إليها لثرتها ، واستأصل أماً كثيرة من وجهك : الحثيين (١) ... سبع أمم أعظم وأكثر منك (٢) وأسلمهم الرب إهلك بين يديك وضربهم فأبسلهم إبسالاً ، لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رافة ، ولا تصاهرهم ... (٤) ... فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعاً ، (٥) بل كذا تصنعون بهم ، وتنقضون ميثاقهم ، وتكسرون أصنامهم ، وتقطعون غاباتهم ، وتحرقون تماثيلهم بالنار ، (٦) لأنك شعب مقدس للرب إهلك ، وإياك اصطفى ... اهـ

وهكذا تكون قداسة الشعب اليهودى المدعاة موجبة لدى الرب إبادة الآخرين ، وجل الله رب العالمين عما يشتره الظالمون .

استئصال تدرىجى :

ثم تلمضى الفقرات التى تعد لإسرائيل بمزيد من الإبادة والإفناء للغير ، لينعم عينا بما ورث ، معنية بإزالة الخوف من قلبه إن حدثته به نفسه ، فإن الرب يستأصل الأمم من بين يديه ، ويدفع ملوكها إليه ، فتقول : (١٧) فإن قلت فى نفسك هؤلاء الأمم أكثر منى فكيف أستطيع أن أطردهم ، فلا تخفهم ... (٢٢) والرب إهلك يستأصل أولئك الأمم من بين يديك قليلاً قليلاً ، إنك لا تقدر أن تفنيهم سريعاً

(١) ذكر السبعة كما يلي : الحثيين ، والبرجاشيين ، والأموريين ، والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم . الخ .

لئلا يكثر عليك وحش الصحراء ، (٢٣) ويسلمهم الرب إلهك
بين يديك ... ويدفع ملوكهم إلى يديك فتسحق أسماؤهم من تحت
السماء : (ص ٣٠٠-٣٠١) .

المهلة إلى فرصة :

فان اضطر أبناء إسرائيل إلى التمثل في استئصال الأمم الموروثة
قليلا ، فليس لهم أن يبقوا أحداً بين ظهراينهم مى أمكنتهم الفرصة ،
فان بقاء أحد من هذه الأمم وخز في عيون إسرائيل ، وحراب
في جنوبهم ، ومجلبة لنقمة ربهم .

جاء في (ص ٢٧٩ فصل ٣٣) ما يلي : « (٥٥) وإن لم
تطردوا أهل الأرض من وجهكم كان من تبقونه منهم كإبرة في
عيونكم ، وكحربة في جنوبكم ، يضابقونكم في الأرض التي أنتم
مقيمون بها ، (٥٦) فيكون أنى كما نويت أن أصنع بهم أصنع بكم » .

شق بطون الحبالى :

ثم لا يكفيهم مع هذا مجرد القتل والإبادة ، ولكنهم يفتنون في
صنوف التشقى والتعذيب حتى ليصنعوا بالنساء الحوامل فيما يفتحون
من المدن قديما ما صنعوه في دير ياسين ومدن فلسطين عام ١٩٤٨
ففي الفصل الخامس عشر من سفر الملوك الرابع ذكر المدينة لم تفتح
لهم أبوابها فضربوها ونخموها وكل ما بها ، وجاء في ذلك مايلي :
« وحينئذ ضرب منحيم تفساح وكل ما بها ونخموها من ناحية ترصة ،
لأنهم لم يفتحوا له ، وشق جميع من بها من الحوامل » .

توارث الأحقاد :

ولا تخبو نيران قلوبهم بطول الزمان ، وتعاقب الأجيال ، بل تظل مشتعلة الأوار على من لم يحسن لأبائهم فينتقمون منهم في بنهم وأحفادهم في (ص ٤٦٩ من سفر الملوك الأول فصل ١٥) يقول صموئيل النبي الذي أرسله الرب إلى الملك «شاول» ملكا على شعبه لإسرائيل : «(٣) فهلم الآن واضرب عماليق وأبسل جميع ما لهم ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل الرجال والنساء والصبيان والرضع والبقر والغنم والإبل والحمير .»

وسبب هذا البلاء الحقيق أن العالقة اعترضوا آباءهم عند ما خرجوا من مصر ، كما تقول هذا الفقرة رقم (٢) من نفس الفصل ونصها : «هكذا يقول رب الجنود قد افتقلت ما صنع عماليق إسرائيل ، وكيف وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر .»

اليهود هم اليهود :

ومن الطريف وسط هذه الشرور المستطيرة أن اليهود صنعوا ما تحليه طبيعتهم من حب الدماء وسفكها ، وعبادة الأموال وجمعها ، فلم ينفذوا تماماً وصية صموئيل ، فبعد أن قضوا على جميع شعب عماليق بالسيف ، أبقوا على الملك ليساوموه ، كما أبقوا على خيار الأموال ، غير أنهم لم ينعموا بشمرة هذا الإبقاء — جاء في الفقرة رقم (٩) ما يلي : «وعفا شاول والشعب عن أجاج (الملك) وعن خيار الغنم والبقر وكل تمين ، والحملان وكل ما كان جيداً ،

ولم يحبوا أن يبسلوها ، ولكن كل ما كان حقيراً مهزولاً أبسلوه ، فكان جزاؤهم أن غضب الرب عليهم ، ونزع ملكه من شاوول ، وحوله إلى ملك آخر (داود) ولم ينج ملك العماليق بل قتله صموئيل بيده (انظر الفصل المذكور) .

مكافأة بغى :

وفى إحدى المدن التى ابتليت بشمرهم (أريحا) أبادوا كل نسمة فى المدينة من الإنسان والحيوان واشعلوا النيران فيها ، ولم يستثنوا سوى بغى وأهل بيتها ، ساعدت جاسوسين لهم وذلك بأمر يشوع الذى خلفت موسى على قيادة بنى إسرائيل ، إذ نادى يشوع قائلاً للشعب : « (١٦) اهتفوا فقد أسلم الرب اليكم المدينة ، (١٧) ولتكن المدينة بكل ما فيها مهسلة للرب ، ولكن راحاب البغى نجا هى وجميع من معها فى بيتها لأنها أخفت الرسلين اللذين بعثناهما » — ونفذ ما أمر به يشوع ، وقال كتابهم ما نصه : « (٢١) وأبسلوا جميع ما فى المدينة من رجل وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحمد السيف » (٢٤) وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها ، وراحاب البغى وبيت أبيها وجميع ما هو لها استبقاهم يشوع وأقامت بين بنى إسرائيل إلى اليوم ، وحقت اللعنة على المدينة عندهم إلى الأبد ، ونادى يشوع بلعن من بين مدينة أريحا ، قائلاً : يببكره يؤسسها ، وبأصغر بنيه ينصب أبوابها (ص ٣٥٦ سفر يشوع) .

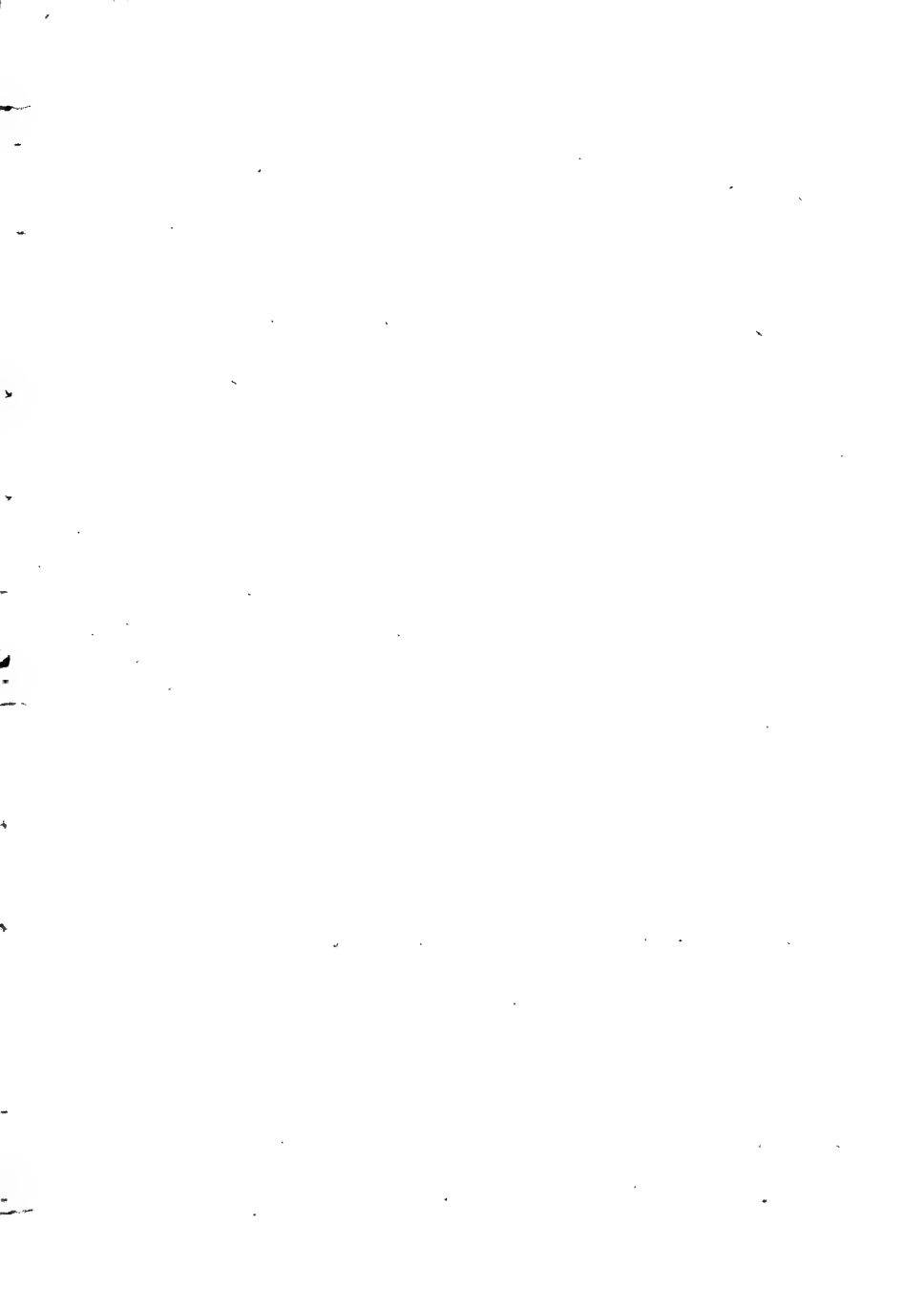
يهمون موسى بهذه الشنائع :

وهم لا يبالون فيما يدونون من جرائم أن يلبسوا أمثالها إلى لبي الله

وكليمه موسى عليه السلام ، وأنى لهم أن يبالوا بالأنبياء وكرامتهم ،
وفي كتابهم المقدس من القبائح والشناعات المنسوبة زورا إلى الأنبياء
ما تنوء بحمله الضمائر مما يزرى بالجهلاء ، فضلا عن الفضلاء ، بله
الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، لقد نسبوا إلى موسى غضبه
على وكلاء الجيش أن استبقوا النساء وذكر الأبطال ، ولم يبيدوهم ،
ولم يرض إلا بأكثر مما فعل فرعون بنى إسرائيل ، ومن عجب
أن يكون صليح موسى بقبيلة آوته وأكرمه ، وصاهرته وعاد منها
كريمًا لينقذ بنى إسرائيل من العذاب المهيّن .

جاء في الفصل الحادى والثلاثين من سفر العدد ذكر حملة بنى
إسرائيل على مدين وعودتهم منصورين بالغنائم والسبايا ما يلي :
(ص ٢٧٣) - (٩) وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم وجميع
جائتهم ومواشيهم وإنائهم غنموها ، (١٠) وجميع مدنهم مع مساكنهم
أحرقوها بالنار ، (١١) وأخذوا جميع الأسلاب والغنائم من الناس
والبهائم وعادوا إلى موسى وإليعازر . (١٤) فسخط موسى على
وكلاء الجيش . (١٥) وقال لهم : هل استبقيتم الإناث كلهن ،
(١٦) ان هؤلاء هن اللائى حملن بنى إسرائيل بمؤامرة بلعام على أن
يتمردوا على الرب ، (١٧) فالآن فاقتلوا كل ذكر من الأبطال
وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل فاقتلوها ، (١٨) وأما إناث
الأطفال اللواتى لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم .

وهكذا يكون تكريم مدين حيث هاجر موسى ، وتكريم صهره
النبي شعيب عليهما السلام في ذكراه ، ولكنهم اليهود وكفى .



الفصل الثالث

في فلسطين

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً» .

صدق الله العظيم

فلسطين من سورية - تطبيق الدستور اليهودي - شخصية أهل
البلاد - ذلة الإسرائيليين - شاول يخلصهم - العصر الذهبي : داود
وسليمان - لم تخلص فلسطين كلها لهم - بعد سليمان - نهاية إسرائيل -
مصر ويهوذا - سبي بابل أو نهاية يهوذا - دعوة محدودة - تبعيتهم
وهدم هيكلهم - إبادة - خلاصة تاريخهم - قضاء سورة الإسراء -
بعد فلسطين .

فلسطين جزء من سورية أو الشام ، أى الاسمين شئت ، وإن
بلدت غرابة العبارة بعض القراء فهى غرابة صناعية نسجتها حديثاً أساليب
التفريق الاستعماري الغربي لوطننا الحبيب ، جزاء «سنيار» للعرب
في مساعدتهم الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، فقد تقسمت إنجلترا
وفرنسا ذلك الإقليم العربي بعد الحرب ومزقته إلى أربع دول تحت
لنفوذهما : سورية ولبنان تحت النفوذ الفرنسي ، والأردن وفلسطين
تحت النفوذ البريطاني ، ولقد استقلت الأجزاء الثلاثة الأولى دولا عربية

بعد ثورات شعبية ضد المستعمرين ، بينما استطاع الدهاء الانجليزى والطمع الصهيونى أن يمهدا لليهود فى اللوثوب على فلسطين والتمكين لهم قبل أن يرحل عنها الانجليز .

• • •

وفى التعريف بسورية جاء فى دائرة معارف وجدى وهى مطبوعة فى الربع الأول من القرن العشرين أنها : « الإقليم الواقع شرق البحر الأبيض المتوسط ، واسمها بلاد الشام » ومن ولايات هذا الإقليم فيما ذكره : حلب وبيروت — ومن متصرفاته الكبرى القدس ولبنان (مادة سورية ج ٥) وعن فلسطين يقول : إنها إقليم من أقاليم سورية (ج ٧ مادة فلسطين) ؛

وفى دائرة معارف البستاني (بطرس البستاني وخلفه) المطبوعة فى أواخر القرن التاسع عشر يذكر حلود سورية قائلا : « يحده سوريا شمالا آسيا الصغرى ، وجنوباً القفر الواقع بينها وبين مصر وبلاد العرب ، وشرقا الفرات والبادية ، وغربا البحر المحيط » ويذكر تقسيمها إلى ولايات و متصرفيات قريبا مما سبق ثم يقول : « و متصرفية القدس تعم حكومتها (إدارتها) معظم بلاد فلسطين » (مادة سورية) • وتقول دائرة المعارف الحديثة : « للأستاذ أحمد عطية الله » : « فلسطين دولة عربية تتكون من المنطقة الساحلية لما كان يعرف أصلا ببلاد الشام ، ولا شك أن وصف فلسطين بالدولة جاء بعد تمزيق سورية إلى أجزاء — ثم يقول : « وتتكون فلسطين جغرافياً من منطقة ساحلية (على البحر المتوسط) وهضبة وسطى ، ولها منحدرات البحر الميت » .

هذه الأرض « فلسطين » كانت تسمى في القديم بلاد كنعان ،
 وهم قوم من العرب وفدوا من ساحل الخليج العربي ، على نحو ما كانت
 الموجات البشرية النازحة من قلب الجزيرة العربية إلى أطرافها
 وماحولها ، حيث الخصب والنماء ، وبخاصة في العراق وفي الشام .
 هاجر إليها من العراق الخليل ابراهيم عليه السلام ، جد العرب
 المستعربة من ولده اسماعيل ، وجد اليهود الإسرائيليين من حفيده
 يعقوب ، وجد غيرهم من شعوب المنطقة ، وفيها ببلدة الخليل نوى
 جسده الطاهر .

وقصدها موسى ببني اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، ولم يصل
 إليها بشوئم عصيانهم لأمر الله ، وما كتب عليهم من التيه في الصحراء ،
 ثم دخلوها بعد موسى عليه السلام ، ولكن على بحر من الدماء .
 وبها ولد المسيح عيسى بن مريم ، وبلغ رسالة الله . وإليها أسرى
 محمد خاتم النبيين ، ثم ارتفع فيها لواء الإسلام ، فجمعت بها
 للرسالات ، ونمت لها البركات ، وإن لم تخل مع هذا من المحن القاسية
 في بعض الأحيان ، على نحو ما سبق بيد الصليبيين ، وما هو واقع
 الآن بيد اليهود الصهيونيين .

لتطبيق الدستور اليهودي :

ومن عجب أن يكون هؤلاء المقتلون بهدى النبي العظيم ، أو هكنا
 وهموا ، والمأمورون على لسان موسى كما حكى الحق في القرآن
 الكريم أن يدخلوا الباب سجدا ، وأن يسألوا الله أن يحط عنهم ذنوبهم
 ليشرى الله بخلق قويم ، من العجب أن يكونوا أشد الناس قسوة

وتعطشاً إلى الدماء ، مدعين أنهم بذلك مأمورون على ما أشرنا إليه سابقاً ، ولقد طبقوا تلك التعاليم المذكورة في كتابهم عن إبادة أهل الأرض التي زعموا أن الرب ورثهم إياها تطبيقاً لاهوادة فيه عند دخولهم أرض فلسطين كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فإذا حلوا بقرية وأفلت أهلها من القناء التام فلعجز الإسرائيليون عن بلوغ ما يشتهون .

وتقرأ سفر يشوع وهو فتى موسى وخليفته ، وأحق الناس برعاية ماورث عن نبي الله من العدالة والعلم والحلم ، وقد حلت عليه عندهم روح الإله ، حتى ليجرى على يديه من المعجزات بعض ما جرى مثله على يد موسى فلا ترى الا قتلا وحرقا وتدميراً واستئصالاً ، وكثيراً ما تجد أمثال هذه العبارة « لم يبق منهم باقياً » في ختام الحديث عن كل مدينة فتحوها على نحو ما يلي :

« ولم يردد يشوع يده بالحربة التي مدها حتى أبسل جميع سكان العى ، وأحرق يشوع العى وجعلها تلّ ردم إلى الأبد خراباً إلى هذا اليوم (ص ٣٦١) - وفتح يشوع مقبدة وضربها بحد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التي فيها لم يبق باقياً ... ثم اجتاز يشوع وجميع اسرائيل معه من مقبدة إلى لينة ... وقتلوا كل نفس فيها لم يبقوا فيها باقياً ... من لينة إلى لاكيش ... فافتتحوها في اليوم الثاني وضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها ... جازر ... لم يبق منهم باقياً ... إلى عجلون ... وأبسل كل نفس فيها ... من عجلون إلى حبرون وافتتحوها وضربوها بحد السيف هي وملكها ومدنها وكل نفس فيها لم يبق منهم باقياً ... إلى دبير حاربا وأخذها هي وملكها وسائر

منها وضربوهم بالسيف وأبسلوا كل نفس فيها ولم يبق باقيا .. وضرب
يشوع جميع أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وجميع ملوكها
لم يبق باقيا ، بل أبسل كل نسمة كما أمر الرب إله اسرائيل ...
وأخذ يشوع أولئك الملوك ولرضهم في هجمة واحدة ، لأن الرب
إله اسرائيل كان يحارب عن اسرائيل ، (ص ٣٦٥ - ٣٦٦ من
ف ١٠) .

دعوى :

وبجيء عقب هذا في ختام الفصل الحادى عشر عن تقسيم الأرض
قوله : « (٢٢) وأخذ يشوع كل الأرض على حسب ما وعد الرب
موسى ، وأعطاهما يشوع ميراثا لبني اسرائيل على حسب أقسامهم
وأسياطهم ، واستراحت الأرض من الحرب » .

وفي الفصل الثانى عشر يجيىء تسجيل من ضربهم بنو اسرائيل
من الملوك مفصلا ، ولأرض كل ملك منهم ويحتم الفصل بقوله :
« جميع الملوك واحد وثلاثون » .

للقضا :

والناظر في هذا يُخَيِّلُ إليه أن بنى اسرائيل امتلكوا فلسطين أو أكثر
منها واستراحوا إلى وجودهم بها ولكن السطر الأول من الفصل الثالث
عشر عقب هذا مباشرة يبعد هذا التخيل ، إذ يبدأ بقوله : « (١)
وشاخ يشوع وطعن في السن فقال له الرب إنك قد شخت
وطعنت في السن وقد بقيت أراض للامتلاك كثيرة جداً (٢) وهذه
هى الأرض الباقية : كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين

(٣) من الشيحور الجارى فى مصر إلى تخم عقرون شمالاً وهى للكنعانيين أرض أقطاب الفلسطينيين الخمسة : الغزى والأشدودى والأشقلونى والحقى والعقرونى (٤) وأرض العوئين.. (٥) وأرض الجلبين وجميع لبنان (٦) .. كل الصيدونيين سأطردهم من وجه بنى اسرائيل وأنت تقسمها بالقرعة لإسرائيل ميراثاً كما أمرتك »
ويعت يمشوع والأرض التى لم يفتتحوها كثيرة وباقية ، ويعصى خلفاء يمشوع كما مضى قسوة وفتكاً وتعطشاً إلى الدماء ، ولكنهم لم يصلوا إلى بغيتهم من إبادة السكان الأصليين ، ليقموا بأرض أعدائهم مطمئنين .

شخصية أهل البلاد :

بل انك لتحس كثيراً — وأنت تقرأ هذه الروايات التاريخية من وجهة النظر اليهودية ، مغشاة بدعوى أن الرب إله اسرائيل يحارب عنهم ويسلم إليهم أعداءهم — تحس بوضوح سطوة أهل البلاد الأصليين وبأسهم فيما يرويه الكتاب المقدس ، وترى كيف أنهم لم يذلوا أمام الوافدين ، ولم يسلموا لهم بدعوى حق أوقداسة .

فعدا الوقائع الكثيرة التى انكسر فيها الاسرائيليون بسبب تخلى الرب عنهم لانحرافهم قليلاً أو كثيراً ، سجل كتابهم عهداً كثيرة شربوا فيها كثوس الدل مترعة ، وأذاقهم أعداؤهم من القهر والخسوف ألواناً ، ثم ذلك فيهم وأيامهم لم تزل مقبلة ، فلما جاء عهد ملوكهم لم يستقر الأمر نوعاً فى عهد داود ، ثم فى عهد سليمان عليهما السلام ، حتى وقع بأسهم بينهم بعد سليمان وزاد الشر بينهم وبين جيرانهم ،

فسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب المرة بعد المرة ، من داخل فلسطين ومن خارجها « ثم لايتوبون ولاهم يذكرون » إلى أن انتهى كل مملك لهم بهذه البلاد ، وكما بدعوا حياتهم بها مجتمعين ومحاولين هدم غيرهم ، فقد انتهوا منها محطمين ومشردين .

من ألوان ذلة الإسرائيليين :

وعلى سبيل المثال : في سفر القضاة وهم الرؤساء الذين ساسوا إسرائيل بعد يشوع وقبل عهد الملوك (ف ٢ ص ٣٩٥) أن الرب غضب على بني إسرائيل بسبب شرورهم وكفرهم بربهم وعبادتهم آلهة أخرى : « (١٤) فدفعهم إلى أيدي المنتهين فانتهبوهم ، وباعهم إلى أيدي أعدائهم الذين حولهم ، ولم يقدروا بعد أن يثبتوا في وجوه أعدائهم : ففارق بهم الأمر جداً (٦) فأقام الرب عليهم قضاة فخلصوهم من أيدي المنتهين » .

ولكن القاضى كان يخلصهم إلى حين ثم لايلبثون بعده أن يرتدوا فيبيعهم الرب إلى أعدائهم وهكذا ، فباعهم مرة لكوشان ملك آرام ثماني سنين ، فلما خلسهم أحد القضاة عادوا إلى الشر فباعهم «لعجلون ملك موآب ثمانى عشرة سنة » (ص ٣٩٦) فلما صرخوا إلى الرب أقام عليهم مخلصاً انتقم لهم من عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ثم عادوا إلى الشر وعاد الرب فباعهم إلى يد يابين ملك كنعان الذى كان ملكاً محاصراً ، فخلصتهم امرأة تسمى دبورة جلست مجلس القضاة (ص ٣٩٨) .

ثم عادوا إلى الشر فدفعهم الرب إلى مدين سبع سنين (٢) وقويت أيدى مدين على اسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لأنفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين (٣) وكان إذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم... (٥) .. ويخرجون عليهم في مثل كثرة الجراد... (٦) فذل اسرائيل جداً أمام مدين وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب... (ص ٤٠١) فأقام لهم مخلصاً يدعى جدعون ، وبعد موته ارتدوا على أعقابهم ، وعبدوا آلهة أخرى ، ولم يذكروا إلههم الذي انقذهم من يد أعدائهم المحيطين بهم فاشتد غضب الرب عليهم وباعهم إلى أيدى الفلسطينيين وإلى أيدى بنى عمون .. الخ . (ف ٦ وما يليه من فصول إلى ص ٤١٢) .

* * *

وهكذا يتكرر البيع ويتكرر الشراء، وفي كل بيع يُقهرون ويتدلون وفي كل شراء يقتلون غيرهم ويفسدون .
ولقد بلغ من ضعف الاسرائيليين وذلتهم وهوانهم أمام الفلسطينيين أنهم في بعض عهودهم لم يكونوا يملكون سيفاً ولا رمحاً ، حتى إن الرجل منهم إذا أحب إصلاح منجل أوفاس قصد الفلسطينيين ، وأنهم استعرضوا في إحدى الضرورات ما عندهم فلم يجدوا هم سيفين مع رجل وولده .

جاء في الفصل (١٣ ص ٤٦٥ من سفر الملوك) ما نصه :
(١٩) « ولم يكن يوجد في كل أرض اسرائيل حداد ، لأن الفلسطينيين قالوا : لتلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً (٢٠) فكان جميع اسرائيل يتزلون إلى الفلسطينيين كل منهم ليحدد سكتته (حديقة المحراث)

ومنجله وفأسه ومعوله : (٢٢) فلما حان وقت الحرب لم يوجد سيف ولا رمح في أيدي جميع الشعب الذين مع شاول ويوناتان ما خلا شاول ويوناتان ابنه » .

وشاول المشار إليه هو الذي مسح صموئيل النبي ملكاً عليهم ، وهو في رأى بعض المحققين طالوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً : » . وفي إحدى المرات التي كان خلاص الإسرائيليين من أيدي العمونيين على يد شاول هذا بلغ من ذلة مدينة من مدنها (١) أن رجا أهلها زعيم العمونيين أن يقطع لهم عهداً على أن يخدموه فاشتروا عليهم ليقطع العهد الذي يريدون قلع كل عين يميني لهم ، وأن يجعل ذلك عاراً على جميع إسرائيل ... فاستمهلوه وأنفذوا رسلاً إلى جميع تخوم إسرائيل ، فتكلموا بهذا الكلام على جميع مسامع للشعب ، فرفع جميع الشعب أصواتهم بالبكاء : فلما سمع شاول هذا الكلام حل عليه روح الله ، وغضب غضباً شديداً ، واستنفرهم واستنقذهم من يد العمونيين (ف ١١ ص ٤٦١) .

ثم قاد شاول الإسرائيليين في عدة معارك ضد الفلسطينيين ، وانتصر في جلها ، وكان في جيشه داود الذي قتل جبار الفلسطينيين جالوت ، فأكرمه شاول وزوجه بنته ، ثم حقد عليه وأراد قتله مراراً ففر من وجهه في كلام طويل : وأخيراً تمكن الفلسطينيون من هزيمة إسرائيل بقيادة شاول ، وقتلوا عدداً من قواده وبليه ، كما قتلوا

جميع رجاله في ذلك اليوم ، فتحامل شاول على سيفه وقتل نفسه حليفاً
من أعدائه القلف وتشفيهم فيه ، فلما جاءوه « قطعوا رأسه ونزعوا
سلاحه ، وبعثوا يبشرون في أرض الفلسطينيين ... » .

* * *

وبهذا ختم سفر الملوك الأول (ص ٥٠٠ ف ٣١) ويليه الثاني
والثالث ، وفيهما الحديث عن عصر ملكيهما العظيمين داود وسليمان
وهما في الإسلام نبيان كريمان ، أوتيا علماً وحكمة وملكاً ، وفضلاً
على كثير من عباد الله المؤمنين ، فلننظر صورتيهما في الكتاب المقدس
من جانب ملك اسرائيل في فلسطين على ماسجله كاتبوه .

العصر الذهبي :

داود وسليمان : وجاء عصر اسرائيل الذهبي ، أو عصر الملوك العظام
كما يسميه بعض الكتابين المعاصرين ، وتملك داود الذي عرفه الإسرائيليون
في مواقفه السابقة على يهوذا في جزء من فلسطين بالجنوب ، وخلف
ابن شاول ويسمى (اشبوشث) أباه على ملك اسرائيل في الجزء الشمالي
من فلسطين ، وذلك في نهاية القرن الحادى عشر وأوائل العاشر قبل
الميلاد ، وطالت الحرب بين بيتيهما ، ولم يزل داود يقوى وبيت
شاول يضعف حتى انتهى بقتل ولد شاول على غير رضا من داود
الذى صار ملكاً على جميع اسرائيل .

وأقام داود بحبرون (الجليل) نحو سبع سنين ، ثم اتجه إلى اورشليم
حيث افتتحها عنوة من يد اليبوسيين ، وسميت حصن صهيون ،
باسم الجبل الذى بنيت عليه ، أو مدينة داود ، وأقام بها .

• • •

ولم تنته المنازلات بين داود وأهل البلاد طيلة حياته وذلك عدا
خروج بعض المقربين إليه ومن حوله عليه .

جاء عن أول عهد داود (في ف ٣ ص ٥٠٦ من سفر الملوك
الثاني) مايلي : « (١٧) وكلم أبني (أحد القادة) شيوخ اسرائيل قائلا :
إنكم من أمس فما قبل كنتم تطلبون داود ملكاً عليكم (١٨) فافعلوا
الآن لأن الرب كلم داود قائلا : إني على يد داود عبدى أجرى خلاصاً
لشعي اسرائيل من أيدي الفلسطينيين ومن أيدي جميع أعدائهم » .

ومضت المعارك ، وتعددت الوقائع بين الإسرائيليين وغيرهم ،
ومع الأساليب الوحشية التي يفخر كتابهم حين ينسبها إلى داود من
تقطيع الشعوب بالمناشير ونوارج الحديد وغيرها ، لم تنته مقاومة
الفلسطينيين : في (ف ٢٠ من سفر أخبار الأيام الأول) عن موقعة مع
بني عمون مانصه : « (٣) وأخرج الشعب الذين فيها وقطعهم بالمناشير
ونوارج الحديد والفتوس ، وهكذا صنع داود بجميع مدن بني
عمون ، ورجع داود وجميع الشعب إلى اورشليم » .

ثم لم تلبث الفقرات من نفس الفصل أن ذكرت عدة حروب
تلت ذلك مع الفلسطينيين (ص ٦٨٧) وظلت الحروب مشتعلة
لا تكاد تنتهي موقعة حتى تبدأ غيرها ، وجاء في الفصل الحادى والعشرين
من سفر الملوك الثاني تسجيل لبعض الحروب التي وقعت في أواخر
حياة داود ، وقد ضعفت وكاد يقتله أحد الفلسطينيين ، ولم ينقذه
إلا أحد رجاله ، واستحلفوه ألا يعرض نفسه للقتل وقال كتابهم :

(١٧) :: حينئذ استحلف داود رجاله وقالوا لا نخرج معنا إلى الحرب ، ولا تطغىء سراج اسرائيل » ٥

وفي بقية الفصل نفسه رويت ثلاث وقائع مع الفلسطينيين .

* * *

وفي داخل اسرائيل ثار عليه ولده « أبشالوم » وحارب أباه وطارده ، والتقى جيشاهما ، فقتل أبشالوم على غير ما أمر داود ، وحزن الملك على ولده حزناً شديداً (ف ١٥ وما بعده ص ٥٢٦) ٥
كما خرج عليه رجل من سبط بنيامين اسمه (شابع بن بكرى) وشايعة جل اسرائيل ، ولم يبق مع داود سوى يهوذا ، ولكنه قضى على الفتنة وقتل زعيمها : وعاد الأمر إلى داود . (ف ٢٠ ص ٥٣٨) ٥

* * *

ولما شاخ داود وضعف تعجل ولده (أدونيا) ونصب نفسه ملكاً ، وكاد يتم له الأمر ، ولكن داود أفسد عليه خطته ، واستخلف ولده سليمان فتي في الثالثة عشرة من عمره ، فجلس على العرش في حياة أبيه الذي أوصاه بحفظ محفوظات الرب ، والسلوك في طريقه ، وحفظ رسومه ووصاياه وأحكامه وشهاداته على ما هو مكتوب في توراة موسى (ص ٥٥١) كما أوصاه ببناء بيت الرب الذي أراده داود ففعله الله لكثرة ما أراق من دماء ، وفي هذا الحديث العارض في وصاة داود لولده سليمان تصوير لعصر داود ، ففي الفصل (٢٢) ص ٦٩٠ من سفر أخبار الأيام الأول جاء مايلي : « (٧) وقال داود لسليمان : يا بني إنه كان في نفسي أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي (٨) غير أنه صار إلى كلام الرب قائلاً : إنك قد سفكت دماء كثيرة وبأشرت حروباً عظيمة ، فلا تبني أنت بيتاً لاسمي ، لأنك قد سفكت دماً

كثيراً على الأرض أُمَامِي (٩) فها هو ذا يولد لك ابن يكون رجلاً
سلام ، وأنا أربحه من جميع من حوله لأن اسمه سليمان وأمنح السلم
والدعة لإسرائيل في أيامه (١٠) فهو يبنى بيتاً لاسمى وهو يكون لى
ابناً وأكون له أباً » :

وأعدَّ داودُ لبيت الرب أموالاً طائلة وأخشاباً وحجارة ، مساعدة
لسليمان ومساهمة في إقامة البيت :

سليمان :

وقام سليمان بالأمر بعده ، وكان حكيماً فسالم من حوله ، وصاهر
ملك مصر الذى أخضع بعض المدن فى فلسطين ، ووهبها مهرأ
لابنته زوجة سليمان ، كما سنشير إلى ذلك بعد ، واستقر الملك لسليمان ،
وبنى للرب بيتاً فى أورشليم أو « مدينة داود » .

* * *

ومع ملك سليمان العظيم ، فلم تمنح شخصية أهل البلاد وإن رغب
الامراتيليون محوها جاء فى (ف ٩ من سفر الملوك الثالث ص ٥٧١)
عنم بقى من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين « الذين
لم يستطع بنو اسرائيل أن يبسلوهم » على حد تعبير كتابهم أن سليمان
صخرهم فى الأعمال واستخدمهم فى البناء .

ثورات :

كذلك لم يخل عصر سليمان ممن ثاروا عليه وأعتوا اسرائيل ،
فقد جاء فى الفصل (١١ ص ٥٧٤) ذكر « بعض من ثار على سليمان
من أهل البلاد ، وتقول الفقرات مايلي : (١٤) وأثار الرب فاتنا

على سليمان هدد الأدمى من نسل ملوك أدوم (٢) وأثار الرب فانتا
آخر على سليمان رزون بن ألياداع (٢٥) فصار فانتا في اسرائيل
كل أيام سليمان ، فضلا عن شر هدد ، وأعنت اسرائيل وملك على
آرام . . .

* * *

وهذا عدا ياربعام الذى كان عبد سليمان ورفع يده على الملك
« وكان ياربعام جبار بأس » (٤٠) والتمس سليمان قتله ياربعام
فقام وهرب إلى شيشاق ملك مصر ، ومكث في مصر إلى وفاة سليمان .
ثم عاد وملك على عشرة أسباط من اسرائيل كما سيأتى قريباً .
هل دانت فلسطين :

وهل خضعت كلها لبني اسرائيل حتى في أعظم أيام مجدهم ،
وهل تحطمت قوة الفلسطينيين على عهد ملوك اسرائيل العظام ؟
وفي الجواب لسوق ما قرره دارسو الكتاب المقدس المختصون
من صعوبة في معرفة حدود فلسطين من الكتاب المقدس بحيث تتميز تخومها
عن تخوم الأمم المجاورة ، ويقول الدكتور بوست في قاموس الكتاب
المقدس بعد كلام في تحديد هذه الأرض مايلي : « ويعسر علينا
معرفة حدود فلسطين ، فانه مع دقة الشرح عن التخوم التي تفصل
بين سبط وآخر ، لم يشرح لنا في الكتاب المقدس شرحاً مستوفى
لتمييز به تخوم فلسطين عن تخوم الأمم المجاورة لها ويظهر أن هذه
للتخوم كانت تتغير من جيل إلى جيل » .

ومع هذا فان البحث الدقيق عن عهد داود وسليمان من الكتاب
المقدس نفسه يؤيد ما ذكره الهستانج في دائرة معارفه عند الكلام على

فلسطين باعتبارها جزءاً من سوريا إذ يقول : « واستفحل ملك
الفلسطينيين فاوتاع منهم بنو اسرائيل والفينيقيون » : فتحالف
الإسرائيليون والفيليقيون على عهد داود ملك اسرائيل وحيرام ملك صور ،
وظل هذا التحالف معمولاً به في زمن سليمان ... » .

ويقول في مادة اسرائيل : « وقد عدلت مساحة فلسطين القديمة
فبلغت (١٣٦٣٠) ميلاً إنكليزياً ، فاذا طرحت من هذه (٨١٠)
أميال وهي مساحة ما خص الفلسطينيين في جنوب يافا كان الباقي
(١٢٨٢٠) ميلاً ، وهي مساحة الأرض التي كانت للأسباط الإثني
عشر عند وفاة سليمان » .

كذلك ذكر الكتاب المقدس أن سليمان تنازل عن عشرين مدينة
في الجليل (بفلسطين) لملك صور بلبنان في نظير معاونته له في بناء
المهيكل المعروف (فصل ٩ ، ص ٥٧٠ وما بعدها) .

• • •

فن جملة ما تقدم وسواه ، وباعتراف كتابهم المقدس ، يتضح
أن فلسطين لم تخلص كلها للإسرائيليين ، ولم تدن جميعها بالطاعة لهم
حتى في أيام مجدهم الذي به يعزلون ، وعهد ملوكهم العظام ، ولم تلتهم
مقاومة أهل فلسطين حتى انتهى كل أثر للغزاة القاطنين .

« بعد سليمان »

ولما مات سليمان عليه السلام خلفه ولده ، ولكن المملكة انقسمت
إلى قسمين :

يهودا في الجنوب ، وعليها رحبعام بن سليمان ، وعاصمتها
« أورشليم » وظل ملكا عليها سبعة عشر عاماً . وإسرائيل في الشمال ،
وعليها ياربعام بن نباط الافرائيمي ، على أثر عودته من مصر بعد هربه
إليها من وجه سليمان كما سبق ، وظل ملكاً بها ثنتين وعشرين عاماً ،
وتضم عشرة أسباط من بني إسرائيل .

ويمعن الملكان كلاهما في الفساد ، وتقوم بينهما الحروب
والمنازعات ، وتظل هذه الحروب مشتعلة الأوار ، يرثها خلف عن
سلف ، حتى لتقرأ في ختام الحديث عن كل ملكين متقابلين في يهوذا
وإسرائيل هذه العبارة بنصها غالباً « وكان بينهما حرب كل الأيام »
وصدق الله العظيم إذ يقول : « بأسهم بينهم شديد » تحسبهم جميعاً
وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

حتى هبت رياح خطر شديد من خارج القسمين ، فغزا ملك
آشور (١) (بالعراق) إسرائيل مرة بعد أخرى ، وفي إحدى المرات أخذ
عاصمتها « السامرة » بعد حصار دام في تقديرهم ثلاث سنوات ،

(١) ملكة كانت في بلاد دجلة الوسطى عاصمتها آشور ، ثم نينوى ، اكتسحت
للشرق ، ثم سقطت تحت ضربات مادی وبابل سنة ٦١٢ ق.م . مشجد

وأجلى الوفاً كثيرة من أهلها إلى آشور ، وأحل محلهم آخرين من بلاده (ص ٦٣٤-٦٣٧ ، فصل ٨ من سفر الملوك الرابع) .
ويذكر مترجم التلمود (د شمعون مويال ج ١ ، ص ٢٤ سنة ١٩٠٩) أن هذه المملكة انتهت بانتصار ملك آشور على السامرة .

* * *

وبعد سنوات صعد ملك آشور على مدن يهوذا (دولة الجنوب) وأخذها فصالحه ملكها حزقيا على جزية ضخمة ، أدى إليه بعضها .. ثم دالت دولة آشور ، وخلفها البابليون (الكلدان) فغزوا يهوذا أكثر من مرة ، حتى قضوا على دولتها ، وسبوا أهلها كما سيأتي في الحديث على سبي بابل المشهور .

مصر ويهوذا :

وفي هذه الأثناء لم تكن هذه البلاد بعيدة دائماً عن تناول ملوك مصر ، ففي عهد سليمان عليه السلام كما سبقت الإشارة أخضع ملك مصر بعض المدن ، ووهبها مهراً لابنته كما جاء ذلك في الفصل التاسع من سفر الملوك الثالث ص ٥٧١ إذ يقول : « (١٦) كان فرعون ملك مصر قد صعد إلى جازر وأحرقها بالنار ، وقتل الكنعانيين المقيمين بالمدينة ، ووهبها مهراً لابنته زوجة سليمان ، (١٧) فبنى سليمان جازر ... » .

كذلك في عهد رحبعام بن سليمان ، وقد ذكر عن فسادة الشيء الكثير ، صعد شيشاق ملك مصر ، فأخذ المدن المحصنة التي في يهوذا ، وصار إلى أورشليم واستولى على ما في خزائن بيت الرب ، وخزائن

دار الملك من كنوز ، وأخذ كل بجان الذهب التي عملها سليمان ، فلما خضع بنو اسرائيل والملك ، وسمعوا كلام شمعيا النبي فيهم ، رجع غضب الرب عنهم فلم يستأصلهم بمجملتهم ، وقال على لسان نبيهم : (٧) : **لأنهم قد خضعوا فلا أدمرهم بل أوتيتهم بعض النجاة ، ولا ينصب غضبي على اورشليم على يد شيشاق ، (٨) لكنهم يكونون عبيداً له ، ليعرفوا عبوديتي من عبودية ممالك الأرض .**

وكان ذلك في السنة الخامسة لملك رحبعام بن سليمان (١) .

* * *

ولما فرض ملك آشور الجزية على حزقيا ملك يهوذا تمرد عليه بعد قليل ، وتأخر في دفع ما بقى منها ، فأرسل إليه ملك آشور يتوعده ويقول له : **إنما اتكلت على مصر وملكها ويدمهما معا (٢) .**

* * *

وفي خلافت بين ملكي مصر وآشور صعد ملك مصر إلى نهر الفرات ، فعرض له يوشيا ملك يهوذا ، وأصر على لقائه في ساحة القتال ، ولم يقبل نصيحة ملك مصر وسلمه ، فأثنى يوشيا بالجراح ونقل إلى اورشليم ودفن بها ، فأقام الشعب ولده بوآحاز مكانه فظل ملكاً ثلاثة شهور ، ثم عزله ملك مصر وأقام أخاه ألباقيم مكانه وغير اسمه إلى يوباقيم ، وفرض غرامة على الأرض مائة قنطار من الفضة ،

(١) سفر الملوك الثالث ص ٥٨٣ وسفر اخبار الأيام الثاني ص ٢٢١ وما بعدها .

(٢) سفر الملوك الرابع ص ٦٣٧ .

وقنطاراً واحداً من الذهب وأحضر يوحاز أسيراً إلى مصر حيث مات بها (١) .

سبي بابل : (أونهاية يهوذا) :

ولم يمض زمن على الأحداث بين مصر ويهوذا ، وكانت الدولة قد صارت لبابل في أرض العراق حتى صعد نبوكد نصر (بختنصر) ملك بابل إلى أورشليم واستولى عليها ، وأخذ ملكها وهو يوباقيم الذي أقامه ملك مصر — وأمه وعبيده ورؤساءه وخصيانه ، كما أخذ كنوز بيت الرب ، وكنوز بيت الملك ، وجلا جميع أورشليم ، ولم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض ، وأقام عليهم « متنيا » عم الملك مكانه وغير اسمه إلى صدقيا ، فلم يلبث إلا قليلا وتمرد على ملك بابل ، فعاد اليه بجيوشه حيث ظفر به رجال الملك البابلي وأحضروه موثقاً بالسلاسل ، وقتلوا بنيه وفقأوا عينيه ، ثم تقدم رئيس شرطة بابل إلى أورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك ، وجميع بيوت أورشليم ، وهدم أسوارها ، وأقام الملك على يهوذا والياً آخر يسمى جدلنيا لم يلبثوا أن قتلوه وضربوا معاونيه من اليهود ، وكان ذلك سبباً في تدبيرهم ، ولشريد من بقى منهم ، فريق هرب إلى مصر ، وفريق وقع في الأسر ، ويقول في هذا كتابهم : « (٢٦) فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وأتوا مصر لأنهم خافوا من وجه الكلدانيين (٢) » (ص ٦٥٢ من سفر الملوك الرابع) — وفي سفر

(١) سفر الملوك الرابع ص ٦٤٨ ، وسفر أخبار الأيام الثاني ص ٧٢١ وما بعدها .

(٢) الكلدان ، منطقة ما بين النهرين في العراق ، وعاصمتها بابل .

أخبار الأيام الثاني بعد وصف ما حل بيهودا من بأس الكلدانيين وقتل كثير منهم ، وتخريب البيت وإحراقه وهدم أسوار أورشليم قال في ص ٧٦٢ : « (٢٠) والذين نجوا من السيف جلاهم إلى بابل ، حيث صاروا عبيداً له ولبنيه حتى ملكت دولة فارس ، (٢١) لكي يتم ما تكلم به الرب بضم أرميا ، حتى استوفت الأرض سبوتها ، لأنها سبتت كل أيام خرابها إلى تمام سبعين سنة » .

عودة محدودة :

وبعد هذه السنين السبعين من ذلك السبي الشهير بسبي بابل ، والذي زالت به دولة اليهود في فلسطين ، عطف عليهم قورش ملك فارس ، وكانت بابل وغيرها قد دانت لحكمه وأذن لليهود بالعودة إلى مدن فلسطين ، وأوصى بمساعدتهم ، وكان ذلك بتدبير من هامان اليهودي مستعيناً بامرأة يهودية أعجب بها ملك فارس ثم تزوجها ، وهي المعروفة باستير صاحبة سفر مسمى باسمها كما سبقت الإشارة إلى ذلك ...

وعاد بنو إسرائيل من منفاهم ، أو عاد منهم من رغب في العودة ، وساهموا في بناء البيت وتعمير البلاد (ص ٧٦٢ وما بعدها) .

ويقول الهمستاني في تقدير العائدين من اليهود (دائرة المعارف ج ٥ مادة بابل) : « لا يخفى أن عدد الذين رجعوا قليل جداً بالنسبة إلى عدد الذين سبوا ، وكان الكهنة ولا ريب أشد اليهود رغبة في الرجوع ، لأن الهيكل أعيد إلى حاله الأول ، ومع ذلك لم يرجع من فرقه الأربع والعشرين إلا أربع فرق ، فاستنتج من ذلك أن خمسة

أسداس الشعب على الأقل لم يتركوا مواطنهم الجديدة ، ويعمل ذلك بقوله : « لأنه لم يكن ما يغريهم بولاية بعيدة افتقرت بالحروب ، وجيرانها أعداء لها ، فضلاً عن أن الحكومة (الفارسية) اعترفت بجنسيتهم في مواطنهم الجديدة ، وكانت تعاملهم باللطف والرفق » .
تبعينهم وهدم هيكلهم :

ثم انتقل اليهود إلى حكم اليونان بعد انتصار الإسكندر المقدوني على دارا ملك فارس ، ودانوا بعد ذلك لحكم الرومان الذين استولوا على البلاد ، وتكرر هدم الهيكل وحرقه ، فبنى لهم الوالى الرومانى هيرودوس هيكلًا قبل الميلاد بقليل ، ذكر صاحب المنجد أن السيد المسيح ألقى فيهم بعض التعاليم وجاء فى الأناجيل أن المسيح عليه السلام أنذر بخرابه ونقض أحجاره حجراً حجراً (متى ف ٢٣ ، ٢٤ - لوقا ف ١٣) .

وقد وقع ما أنذرهم به السيد المسيح ، وخرب الرومان الهيكل عام ٧٠ م فى إخمادهم لثورة يهودية هدموا فيها أورشليم ، وأزالوا الهيكل تماماً :

وتزعم بعض المصادر (١) متأثرة بالصهيونية أن جزءاً من سوره الخارجى بنى إلى الآن ، ويسمى حائط المبكى يتمسح به اليهود ، على

(١) جاء فى المنجد قسم الأدب والعلوم فى مادة أورشليم (الهيكل) ما يأتى :
بناه سليمان الحكيم (٩٧٥ قم) وهدمه نبوكد نصر ملك بابل (٨٧٠ قم) فبنى هيرودوس هيكلًا جديدًا علم فيه المسيح وخربه الرومان ولم يبق منه إلا حائط المبكى - ويقول فى موضع آخر حائط المبكى جدار السور الذى بناه هيرودوس لهيكل أورشليم القديم ، يقف عنده أتقياء اليهود ويبكون على خراب بيت المقدس . ٨١ .

حين أثبتت لجنة دولية محايدة زمن الانتداب البريطاني على فلسطين أن هذا الجزء المدعى عربي خالص ، وليس أثراً للهيكمل ولا لسوره الخارجى كما زعم اليهود .

وقد نهت إلى تلك الحقيقة أخيراً حكومة الأردن فى وثيقة أعلنتها ووزعتها على أعضاء مجلس الأمن ووفود الأمم المتحدة .

وفى بحث للدكتور محمود دياب نشر بمجلة منبر الإسلام عدد ربيع الأول ١٣٨٨هـ حديث هام عن الوثيقة المذكورة التى حصل عليها بجهد مشكور ، وفيه أن حائط المبكى المدعى هو الجدار الغربى للمسجد الأقصى ، وأن اللجنة انتهت إلى أن المسلمين هم وحدهم مالكوه ، فهو جزء الحرم ، وملك الأوقاف ، كما أن الطريق إليه من حى المغاربة ملك للأوقاف ، وخاص بالمسلمين .

إبادة :

وإذا كان اليهود فى خراب أورشليم وهدم الهيكل على يد البابليين قد أجلبى من عظمائهم ورؤسائهم ورجال الحرب فيهم عشرات الألوف ولم يبق منهم سوى كرامين وفلاحين ، وفى ضربة أخرى خرجت بقية الشعب فارين إلى مصر ، أو أسارى إلى بابل — كما سبق بيانه من كتابهم — فى غزو أورشليم على يد الامبراطور الرومانى وتخريب الهيكل عام ٧٠م يذكر معرب التلمود وشارحه الدكتور شمعون يوسف مويال وهو يهودى مصرى : أن هذا الغزو قتل فيه ما يبلغ المليون والمائة ألف نفس ، وأسر ستة عشر ألفاً أرسلوا إلى رومية ، عدا الأطفال والنساء الذين قضوا أثناء الحصار ، ويقول : إن ذلك

الفتح « كان في اليوم التاسع من شهر آب (الشهر الحادى عشر من السنة اليهودية) وهو تاريخ مشنوم على الأمة الإسرائيلية ، لأن خراب البيت الأول كان في نفس اليوم » .

ويتحدث عن بعض الثورات اليهودية التى أحلت باليهود بأس الرومان ، وأبادت من البلاد خضرأهم كما يقول حتى « لم ينج من بنى اسرائيل إلا نفر قليل ممن اختفوا في بطون المغاور ، واعتصموا في رعوس الجبال ، ثم هاجروا بعد إلى البلاد الأجنبية » وكان قاعدة أعمالهم في ثوراتهم قلعة « بتير » وكان خرابها كذلك في اليوم التاسع من شهر آب بعد هدم أورشليم بنحو نصف قرن . ويقول : إنه آخر عهد الإسرائيليين بالاستقلال السياسى ، وأعظم مصيبة قومية في تاريخهم (ص ٣٦ ، ٣٧ ج ١ ، من التلمود) .

• • •

وظل سلطان الرومان في سوريا ، ما ينجم لليهود قرن بها إلا قطعه الرومان ، وما عاودوا بناء الهيكل إلا عاد الرومان إلى هدمه ، وبخاصة بعد أن اعتنق الرومان المسيحية ، وعرفوا لليهود عداوتهم للمسيح ، وما بغوه من شر وعدوان ، حتى سطع نور الإسلام فحما ظلم الرومان وظلامهم عن البلاد ، ورحب المسيحيون بعدالة المسلمين ، واستقبلوا عمر بن الخطاب بالإجلال ، وعاملهم عمر بالرهابة والتكريم ، وكتب لهم عهد أمان على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ودينتهم ، وأشهد على ذلك كبار المسلمين الحاضرين .

فلما أراد عمر بناء مسجد في الحرم المقدس اتجه ومعه «البطريق» إلى مكان لا بناء فيه ، وشرع يزيل الكناسة من بعض جوانبه ، ويحمل التراب في ذيل ثوبه ، قائلاً للمسلمين : اصنعوا كما أصنع ، وأقام مسجده المعروف بمسجد عمر في جزء من الحرم ، ومن بعده بنى الوليد بن عبد الملك المسجد الحالي الكبير المعروف بالمسجد الأقصى . أما اليهود فلم يكن لدولتهم حينئذ وجود ولا هيكلهم أثر .

خلاصة :

ويتبين مما سبق أن تاريخ بني إسرائيل في فلسطين تاريخ دماء ، ولئن قام فيهم الأنبياء يرشدوهم ويصلحون من أمرهم فلقد كان بعض أصحابهم من هؤلاء الأنبياء .

كما يتبين أن دولتهم في فلسطين بدأ تكوينها في عهد شاول (طالوت) وداود ، واستقرت مؤقتاً في زمن سليمان - وإن لم يخل عصره من فتن وثورات ، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد ، ثم تمزقت داخلياً عقب سليمان مباشرة ، حتى قضى على جزئها الشمال المسمى بإسرائيل ، وعاصمتها « السامرة » في القرن الثامن قبل الميلاد ، كما قضى على زميلتها « يهوذا » بالقسم الجنوبي من فلسطين وعاصمتها « أورشليم » في القرن السادس قبل الميلاد .

• • •

وعاش من عاد من اليهود بعد المحن الطاحنة تحت حكم الفرس ، واليونان ، أو الرومان حتى قضى عليهم وأبعدوا من فلسطين ، وفرت بقاياهم إلى البلاد الأخرى ، فعادوا إلى تيه في الحياة بغير

حدود، بطوفون أو يطاف بهم في الشرق والغرب والشمال والجنوب ،
يقيمون فلا يتوطنون ، ثم يخرجون مطرودين ، ومن السيف هاربين .

قضاء سورة الإسراء :

وقبل أن نمضى مع التاريخ الأوسط والحديث ، فترى ما كان
من أمر اليهود ، ونقص طرفا من حديثهم الدامى ، وتاريخهم الأليم ،
نشير إلى نقطة من تاريخهم القديم كثر الحديث الآن حولها بعد عدوانهم
على الأرض المقدسة ، والشعب العربي في فلسطين .

فقد أشارت سورة الإسراء إلى أن الله تعالى قضى عليهم في
الكتاب أنهم يفسدون مرتين ويعاقبون عليهما عقاباً شديداً ، وأن هذه
صنته كلما عادوا إلى الفساد عاد الله تعالى عليهم بالعقوبة .

فهل هاتان المراتان في تاريخهم القديم ؟ أو كما رأى بعض الباحثين
أن أولى المرتين ما كان قبل الإسلام وعقوبتها تسليط المسلمين وهم
العباد الصالحون ، الموصوفون تشریفاً بقوله تعالى « عباداً لنا » وأن
المرّة الثانية إفسادهم الحالى بالأرض المقدسة ، وعقوبتهم آتية بحول الله
على يد المسلمين ؟

وخلاصة الرأى عندى أن الإفساد حصل أكثر من مرة ، وأن
العقوبة المناسبة تمت كذلك وأن أى إفساد جديد داخل تحت قوله تعالى
« وإن عدتم عدنا » ، وأن النظر المتأنى في الآية الكريمة لا يرشد إلى ما يقوله
هؤلاء الباحثون ، ولا يساعد عليه التاريخ الصحيح ، الذى لا يضيره
أن جهله أو خلط فيه بعض المفسرين .

لقد تعرض بنو إسرائيل في فلسطين لخطر الإبادة مرات ، وإن من أبرز تلك المرات تسلط مدين عليهم ومعهم أقوام آخرون من ساكني فلسطين ، لقد جاس المدينيون خلال ديارهم ، وأفسدوا حياتهم ، وأتلفوا زروعهم ، والجثوم إلى الكهوف والمغاور في الجبال ، حتى خلصهم جدهون وكسر أعداءهم ، كما سبق ، وما أقرب هذه الواقعة التي جاءت بعد فساد كبير في بني إسرائيل ، وكفر وعصيان من معنى هذه الآيات الكريمة : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً » .

ومدين أبو القبيلة من أبناء إبراهيم عليه السلام ، فوصف هؤلاء بقوله تعالى : « عباداً لنا » وصف تخصيص وتشريف .

* * *

كما أن أوضح تلك المرات في أسفار التاريخ ، في الكتاب المقدس تفصيلاً ، غزوة بختنصر لهم (نبوكد نصر) وهدم أورشليم ، وهبكل سليمان ، وإبادة كثيرين منهم حتى لم يبق إلا سبي أو هريد ، وذلك في سبي بابل المشهور — وتلك جديرة بأن تكون المشار إليها في قوله تعالى : « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تبتيراً ، عسى ربكم أن

يرحمهم ، وقد رحمهم سبحانه بعطف ملك الفرس عليهم ، وعادوا إلى فلسطين عودة جزئية كما سبق بيانه .

وإذا كان مسجد سليمان (الهيكل) لم يكن في المرة الأولى فقد كانت المعابد قائمة من عهد إبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده تقرب عليها القرايين (١) .

كذلك من عودتهم إلى الفساد وعودة العقوبة لهم ما كان في الغزو الروماني لفلسطين ، وهدم الهيكل بعد بنائه ثانية ، وسبهم وتشريدهم ، وما تجلد لهم في الحديث من فساد وعقوبات متكررة .

(١) وقد يقال : إن المسجد هو الحرم عامة ، وليس مقصوراً على الهيكل أوالمعبد خاصة - - - وصلى أن ذلك متجه وقريب ، فقد فسر المسجد الحرام في قوله تعالى : « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء .. » بأنه مكة في رأى كثير من المفسرين ، وليس الكعبة فقط ، ويؤيده التعبير عن الكعبة بلفظ البيت ، وبعد الآية السابقة : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت .. » وفي القرآن الكريم : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً ... » وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ... » .

هذا : وتفسير المسجد بأنه الحرم القدسي يوضح الإجماع التاليفي أو ما يشبهه على أن هيكل سليمان لم يكن له وجود عند دخول المسلمين مدينة بيت المقدس (إيلياء) وأن الذي أنشأ المسجد الأول في هذه الأرض هو عمر بن الخطاب في جزء من الحرم ، وعرف بمسجد عمر ، وأن المسجد الأقصى المعروف حادث في زمن الوليد بن عبد الملك الأموي - - - وقد كان الإسراء إذاً إلى الحرم المقدس ، ومنه تم المعراج .

ومثل هذا ما قرره فضيلة الشيخ عبد الحميد السايح وزير الأوقاف الأردني في بحثه المقدم إلى المؤتمر .

بعد فلسطين

اليهود بين مظالم أوروبا وساحة العرب :

دخل اليهود الأرض المقدسة فاتحين ، وخرجوا منها مشردين ، سكنوا الحجاز حيناً ثم أبعدوا عنه ، واستوطنوا أماكن من العالم الإسلامي تحت ظل من ساحة الإسلام ، وهامهم أولاء اليوم لا يرعون فيه إلاً ولاذمة ، وأقاموا في أماكن أخرى من البلاد الأوربية وشردوا عنها في القرون الوسطى ، وكانت نكبتهم الحديثة على يد هتلر والهتلريين ، واليوم بحول الله سبحانه ينتظروهم سوء المصير بشر أفعالهم في فلسطين . وإلى القارئ طرفاً يسيراً مما أوردته المراجع العلمية والتاريخية الموثوق بها عما حل باليهود في أوروبا من النكال والاضطهاد والعذاب الشديد ، لا يقابله على التقبض إلا كرم العرب وسماحتهم في معاملة اليهود ، وإفساح المجال لهم كي يعيشوا آمنين مطمئنين في كل بلد أشرق جوه بنور الإسلام ، وارتفعت في سمائه راية المسلمين .

جاء في دائرة معارف وجدى عن بني اسرائيل جا بعد ذكر تاريخهم القديم وما أصابهم من المظالم فيه ما يلي :

« قالت دائرة معارف القرن العشرين التي ننقل عنها هذا التاريخ ؛ ولكن لما فتح المسلمون بلاد الرومان حسن حال اليهود فاشتغلوا بالتجارة ناعى البال في بغداد والقاهرة وقرطبة وباختلاطهم بالعرب درسوا العلوم والصنائع بنجاح ، ومن أول القرن التاسع صار لهم مراكز يهودية في القاهرة وفارس ومراكش .

أما ببلاد الغرب... فقد اعتبروا أنهم لشوم طالعههم سبب كل المصائب النازلة ، والحروب الهائلة ، ولكل فتنة تصيب رجال المسيح...

فكانوا يعتبرون طرد اليهود ونهب أموالهم وقتلهم من أعمال البر والتقوى .

قال المسيو دانتيه : كان اليهود معتبرين بخارج دائرة الحقوق العامة في كل مكان ، محبوسين في أقسام منزلة من المدينة ، محكوماً عليهم بوضع علامات مهينة على ملابسهم لتمييزهم من غيرهم ، وكانوا لأقل هفوة يُحكّم عليهم بالغرامات الباهظة وبالطرد العام ، وفي سنة ١٢٩٠ صدر قرار الملك إدوارد الأول بطردهم من المملكة ، أما في ألمانيا فكانوا ملكاً للإمبراطرة فحدث أنهم بيعوا أكثر من مرة .

إلى أن قال : ثم عادت دائرة المعارف فقالت :

« أما في أسبانيا حيث عاش اليهود تحت حكم المسلمين زماناً طويلاً في هدوء كامل ، فإنه بمجرد أن امتلك بلاد الأندلس فردنيانده للكاثوليكي طردهم كما تطارد الكواسر . »

• • •

ومضى حديث الدائرة عنهم وما حل بهم في فرنسا وبولونيا وليتوانيا وروسيا وغيرها بما لا يبعد عن هذا ثم قالت : « أما في روما فكان على اليهودي إن أراد الانتقال إلى بعض الجهات ليملك عشرة أيام أن يأخذ رخصة من السلطة الكهنوتية ، وكان محرماً عليهم أن يتخذوا كنائس أو ديورا ، أو يتحدثوا مع المسيحيين أو يصاحبوهم ، ومن يخالف يحبس ويغرم — صدر هذا الأمر سنة ١٨٦٥ م . »

بمثل هذا وأكثر منه تحدثت دائرة معارف بطرس البستاني (مجلد

١٢ ص ٦٧٢ وما بعدها) — فقد جاء فيها بعد كلام طويل عن تاريخهم للقديم ، وما أصابهم فيه ما يلي :

« فلما جاء الإسلام وأبوا لإجابة الدعوة كانت لهم بيثرب وخيبر وغيرهما مواقع شديدة مع صاحب الشريعة غلبوا فيها ، ورضخ بعضهم للجزية ، وأسلم بعضهم فكان منهم مسلمون لهم شأن في تاريخ الإسلام ، وكان منهم من دان بالإسلام وهو بنو تفرق كلمته . »

« فلما امتد ملك الإسلام شرقاً وغرباً وأذلوا الفرس والروم لم يكن للمسلمين وطأة ثقيلة على اليهود ، بل كانوا حينما حلوا حل معهم

معهم الفرج لبنى اسرائيل ، فبات اليهود وهم ناقمون شدة الجور والعسف من حكاهم السابقين يتلقون المسلمين بأرحب الصدور ،

بل يعينونهم بما أمكن على قهر مضطهديهم وبات المسلمون وشرعهم بأمرهم أن يعاملوا بالحسنى أهل الذمة إذا دفعوا الجزية

عن يد وهم صاغرون يرفعون الحيف عنهم ، ويفسحون لهم في المجال ، فكانت لهم أيام الخلفاء الراشدين وبقي أمة في الشام والأندلس ، والعباسيين في العراق وملوك أفريقية وبلاد المغرب أهام راحة وأمن لم يتخللها من المظالم إلا التزر اليسير ،

وتكلم عن عز اليهود في هذه الممالك ثم قال :

« وأما في مملكة بيزنطة والممالك القائمة على أنقاض الدولة الرومانية

الغربية في أوروبا فكانت المظالم عليهم شديدة ، والمغارم عديدة . »

وأفاض في بيان سوء حالهم لبضعة قرون بحيث كانوا يلجئون كثيراً إلى شراء حق الحياة والإقامة والاتجار وعن انجلترا بالذات قال مانصه : « فإنهم لقوا في انكلترا البلاء الأصم لعهد ملكها ريتشارد الأول ،

فكان يوم تنويجه سنة ١١٨٩ يوم ذبح لليهود في يورك . . . ولم يزل

الملوك من بعده يبالغون في تعقبهم إلى أن أجلاهم أودارد الأول من كل مملكته - وأصابعهم مثل ذلك في فرنسا فطردهم شارل السادس من بلاده .

ثم قال : « ولما فشا الطاعون في أوروبا (١٣٤٨ - ١٣٥٠) قام عليهم أهل ألمانيا قومة واحدة فكانوا يسوقون الألوف منهم يقتلونهم ويحرقونهم رجالا ونساء وكباراً وصغاراً لزعمهم أن اليهود تسبوا في تفشية الوباء بالقاء السم في المياه - وحذا أهل سويسرة حذو الألمان . ولكنهم اجتروا بطردهم وذبحوا في أكثر مدن أسبانيا سنة ١٣٩١ وفي سنة ١٤٩٣ طردوا منها ، فجلت ٧٠,٠٠٠ عائلة منهم إلى البرتغال فكان هذا الجلاء وبالا عليهم ، إذ أجلاهم الملك عمانويل سنة ١٤٩٥ واستبق قسراً أولادهم من بني (١٤ عاماً) فأقل وأرسلهم إلى الجزر للقاصية ، يلبشأون على الديانة المسيحية ، فكثرت في تلك الأثناء عدد اللاجئين من اليهود إلى الممالك العثمانية ، وذهب فريق منهم إلى بولونيا . »
ثم قال : « وكانوا يسترضون أرباب الملك والدولة بالمال فتفتح لهم أبواب البلاد التي طردوا منها . »

ثم تكلم عن تحسن حالهم في القرن التاسع عشر في أوروبا ، وبخاصة في النصف الأخير . ولكن دائرة معارف الهستانى لم تعرض لما حل بهم في القرن العشرين على يد النازيين ، ولم يسجله كاتبوها ولعلمهم لم يدركوه وإن علمه المعاصرون .

أما تهاقهم اليوم على أرض فلسطين أرض الميعاد كما يزعمون
يقسدون ويسفكون الدماء وييقرون البطون ، وينسفون القرى ومن
فيها فهو عود بهم إلى حتف جديد ، وعذاب شديد .

* * *

إن محاولتهم العودة بفريق منهم ليقم دولة في فلسطين على حساب
شعبها العربي ، وأشلاء الضحايا من أصحابها الشرعيين هو على الحقيقة
هتك للمستور من أمرهم ، وكشف للخفي من نواياهم نحو العالم كله
في إشعال نار الفتنة ، وتأريث ضرام حرب نووية ماحقة ، يقفزون
بعدها من فلسطين إلى مركز المسيحية في أوروبا — كما دونته وثائقهم
(البروتوكولات) حيث تقوم حكومتهم المرجأة لتحكم العالم على مبادئ
التلمود والتوراة =

ولم يعد ذلك خافياً من أمرهم والحمد لله ، ومواقفهم الآن وشنائعهم
تتحدى العالم كله ، وإنه لإيذان بحول الله وقوته بتنفيذ وعيد الله فيهم ،
وبعنه عليهم من يسومهم سوء العذاب مهما بدا من قوتهم وقسوتهم ،
ومساعدة قوى الشر في العالم لهم ، وسيكون ذلك بيد المخلصين من رجال
العرب الأجداد إن شاء الله «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» ،

* * *

أما لماذا خُصَّ اليهود من بين أصحاب الديانات السماوية ، بل
والنحل الأرضية بهذه المذابح وهذا الشتات ، ولماذا لم يقرؤا في وطن
سعوا إليه وأقاموا فيه على نحو ما تقيم الشعوب وتستقر الجماعات .
وهل سرُّ ذلك إليهم أو إلى غيرهم من عباد الله ؟ فلعلنا نجيب عليه
فيما يلي من حديث .

الفصل الرابع

الشتات اليهودي

« شَعْبٌ سَيَسْكُنُ وَحَدَّهُ ، وَلَا يُحْسَبُ بَيْنَ الْأُمَمِ »

(سفر العدد ص ٢٦)

قطيعة نفسية - في مصر - وحدهم - لا اختلاط ولا مصاهرة -
من أجل المال - طرد الزوجة والأولاد - من أجل خبز وماء -
مقاطعات قدسية - ثمرة خبيثة - دعوى امتياز - فضل إيمان - حقارة
كفر - ضلال عزاء - إغراء بالدماء - دفاع مهيب .

قطيعة نفسية :

في الجواب عن مر ما ينزل باليهود من محن وشتات نذكر هذه
القطيعة النفسية بينهم وبين غيرهم من الشعوب ، فمثل هذه الفعال التي
عرضنا طرفاً منها مستقاة من كتابهم المقدس ، والتي فرضت عليهم
صداماً دائماً مع الغير ، ودفعت بهم إلى صدام آخر فيما بينهم ، والتي
لا تصدر إلا عن طباع في الشر عريقة - هذه الفعال جديرة أن تباعد
بين اليهود وسواهم ، ولقد كانوا بالفعل بعيدين ، تلبو مشاعرهم عن
الوطن الذي يؤويهم ، كما تلبو عنهم مشاعر هذا الوطن .

في مصر :

لقد ساكنوا المصريين أكثر من أربعة قرون ، وكان منهم وزراء وعظماء ورجال مال ، وكان يوسف عليه السلام على خزائن الدولة من أول أمرهم ، وصاحب الخطوة عند عزيز مصر ، ولكن بنى إسرائيل برغم ذلك ظلوا خلية غريبة عن جسم الأمة ، حتى انتهى أمرهم إلى بلاء شديد ومحنة قاسية على يد فرعون وملئه ، فبعث الله نبيه موسى لينقذهم من العذاب المهين .

وقد ذكرنا فيما مضى ما سجله كتابهم عند قدوم إخوة يوسف بشقيقه ، ودخولهم عليه وتأثره الشديد وتجلده ، وتقديم الطعام ليوسف وحده ، وإخوته وحدهم ، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ، وعلمه كتابهم بأن من الرجس عند المصريين أن يأكلوا مع العبرانيين (١) — وإذا دل هذا على ترفع المصريين عليهم حتى لم يقبلوا مخالطتهم في طعام وهم نزلاء بينهم مع كرم المصريين المأثور ، فالدلالة على القطيعة النفسية بين الفريقين واضحة لا تحتاج إلى بيان .

يسكنون وحدهم :

ومع تكريم عزيز مصر ليوسف ، وترحيبه بيعقوب عليه السلام وبمن معه من آل بيته ، وحثه يوسف على إسكان أقاربه بأجود أرض مصر ، ورغبته إليه في أن يقيم يوسف من إخوته وكلاء على ماشية فرعون إن علم فيهم ذوى حلق ، فقد أوعز يوسف إلى إخوته بأن يقولوا لفرعون عن حرقهم لإنهم رعاة غنم قائلا : (٣٤) لكي تقيموا

بأرض جاسان (الشرقية) لأن كل راعي غنم هو عند المصريين رجس...»

«وأسكن يوسف أباه وإخوته وأعظامهم ملكاً في أرض مصر في أجود موضع منها ، كما أمر فرعون» (١) .

ولعل اختيار هذا المكان إلى جانب جودته روعى فيه قربه من حدود مصر الشرقية ، وسيناء المطلة على أرض كنعان من حيث ورد يعقوب وبنوه ، كى يقيموا ما أحبوا الإقامة ، ويرحلوا متى شاءوا الرجيل .

لا اختلاط ولا مصاهرة :

وكتابتهم بحدسهم من مخالطة غيرهم أومصاهرتهم ، وينذرهم بالخلدان وعدم النصير على الأعداء إن هم خالفوا ، بدلا من أن يرشدتهم إلى التمسك بدينهم ودعوة غيرهم إلى هداة ، وكأن شعبهم (المختار) ليس من طينة البشر ولا من تراب الآدميين .

جاء في سفر يشوع فى موسى والمقدم فى بنى اسرائيل بعد عهد موسى : أنه لما طعن فى السن جمع شيوخ إسرائيل وقضاةهم وعرفاءهم وذكرهم بما فعل الرب إلههم بكل تلك الأمم لأجلهم وأوصاهم بالتمسك بتوراة موسى ، وألا يختلطوا بهذه الأمم الباقية ولا يذكروا إسم آلهتهم قائلا : « (١١) فاحتفظوا لأنفسكم جداً بأن تحبوا الرب

إلهكم (١٢) ولكن إن ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم الذين بقوا معكم — وكان الاختلاط يساوى الردة أو يقرن بها — وصاهرتهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم (١٣) فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم ، بل يصيرون وهماً ومعرةً وسوطاً على جنوبكم ، وشوكاً في عيونكم حتى تضحلوا من هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم .

من أجل المال :

وقد يكون مفهوماً أن تكون الوصية لهم ألا يختلطوا بمن يضر عقائدهم صيانة لدينهم ، فيكون ذلك مقبولا ، أو بمن ليس من جنسهم حفاظاً على دم الشعب المختار في زعمهم فيكون وجهة لهم ، أما أن يكون رفض الاختلاط والمصاهرة حفاظاً على المال أن يخرج إلى غيرهم وإن كان من الغير اكتسبوه ، بل أن يخرج فيهم من بيت إلى بيت وإن كان من صميمهم ، فتلك قطيعة لهم فيما بينهم تضاعفت بآثارها من دوافع القطيعة بينهم وبين غيرهم .

جاء في سفر العدد ٢٦ ص ٢٨٣ ما يلي : « (٨) وكل بلت لرت ميراثاً من أسباط بني إسرائيل فلتكن زوجة لواحد من عشيرة سبط آبائها ، لكي يرث بنو إسرائيل كل منهم ميراث آبائه (٩) ولا يتحول ميراث من سبط إلى سبط آخر ، بل يحافظ كل سبط من بني إسرائيل على ميراثه . »

ثم يعطى لهذا الأمر قداسته بالنص على أنه أمر الله على لسان موسى فيقول : « (١٣) هذه هي الوصايا والأحكام التي أمر الرب بها بني إسرائيل على لسان موسى في صحارى موآب على أردن أريحا » .

وذلك برغم أن موسى نفسه تزوج من خارج بني إسرائيل غير مرة ، فقد تزوج من مدين قبل رسالته ، على ما هو معلوم من القرآن الكريم ، كما اتخذ زوجة حبشية ، وقد لاهه بعض المقربين على التزوج بها فاشتد غضب الرب على اللائمين حتى استشفعوا بموسى فشفع لهم (٢٣٩ ف ١٢ من سفر العدد) .

طرد الزوجة والأولاد :

وتأخذ هذه المقاطعة اهتماماً كبيراً ، وتؤخذ الموائيق والعهود عليها ، باعتبارها سبيلاً إلى حفظ الدم طاهراً ، والتمكين من خير الأرض ، والاحتفاظ بها للعقب : جاء في (ف ٩ من سفر عزرا) أن الرؤساء شكوا إليه أن شعب إسرائيل والكهنة واللاويين لم ينفروا عن شعوب الأرض ورجاساتهم : « (١٢) لأنهم اتخذوا من بناتهم لهم ولبناتهم فاختلط للدم الطاهر بأمم الأرض » - وأنه مزق ثوبه ورداءه وتنفس شعر رأسه ولحيته ، ولبث متحيراً وتاجى الرب إلهه واعتذر إليه ... ثم نادى في قومه : « (١٢) والآن فلا تعطوا بناتكم لبليهم ، ولا تأخذوا بناتهم لبليكم ، ولا تطلبوا سلمهم ولا خيرهم إلى الأبد ، لكي تتمكنوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا أعقابكم مدى الدهر » (ص ٧٨٠) .

وتمضي الوصايا إلى غايتها فلا تقصير التحرز من الاختلاط والمصاهرة على ما يحىء مستقبلاً ، بل تمتد إلى الزوجة والأبناء الحاليين لهطردوا من بين إسرائيل ، معتبرة أن هذه المصاهرة اعتداء على الرب نفسه ، ففي الفصل العاشر أن عزرا صلى واعترف باكياً وهو منطرح قدام بيت الله ، واجتمع إليه جمع كثير جداً من الرجال والنساء والأولاد وبكوا بكاء شديداً ، واعترفوا بلسان بعضهم بأنهم تعدوا على إلههم بأخذ نساء غريبات من أمم الأرض ، وتعاهدوا على إخراج جميع النساء وأولادهن ، ونادوا في الشعب مندرين من تأخر يابسال كل حاله وفرزه عن الجماعة : « وتم فحص الذين اتخذوا نساء أجنبيات وأعطوا أيديهم على أن يخرجوا نساءهم ، وقربوا كهشاً من الغنم عن إثمهم ، وسجل الفصل أسماء المعتدين ، ثم قال في ختامه : « جميع هؤلاء اتخذوا نساء أجنبيات وكان منهن من ولدن بنين » (ص ٧٨٣) »

من أجل خبز وماء :

إلى جانب ما سبق ترى في الكتاب مقاطعات ألهية لأسباب غير قائمة ، ولا يظن بها أن تقوم إلا في نفوس يهودية ، يؤخذ بها الأبناء جزاء ما فعل الآباء .

جاء في أول الفصل (١٣) سفر نحما قوله :

« (١) في ذلك اليوم قرى في سفر موسى على مسامع الشعب ، فوجد فيه مكتوباً ألا يدخل المسجونون ولا الموابدون في جماعة الله إلى

المكيد (٢) لأنهم لم يتلقوا بني اسرائيل بالخبز والماء ، بل استأجروا عليهم بلعام ليلعنهم ، فحول إلهنا اللعنة بركة » .

وبادر الشعب إلى تنفيذ هذه المقاطعة لاعلى من ذكروا فحسب ، بل على كل من ليس منهم ، وتقول الفقرة بعد ذلك « (١٣) فلما سمعوا الشريعة فرزوا كل دخيل من إسرائيل » ويمضى السفر بعدد مواقف صاحبه « نحميا » وبلاءه في هذا السبيل من طرد من كان قريباً لأجنبي أو تزوج بأجنبيات . (ص ٨٠٨ وما بعدها) .

مقاطعات قدسية :

كذلك ترى في الكتاب نوعاً طبقياً من المقاطعات المادية ، فالطعام الذي يقدم قدسا للرب يكون للكهنة وخاصتهم الأقربين ، ولا يأكل منه سواهم ، وأكل الأجنبي من طعام مقدس يندسه ، ويكون جناية إثم على آكله ، ومن أكل منه سهواً كان عليه أن يزيد على مقدار ما أكل خمسة ويدفع القدس إلى الكاهن ، ولا يتحمل جناية بأكله من قدس الرب .

جاء (في ٢٢ من سفر الأخبار) أحكام عن تقديم القرابين ، وما يقدم كفارة كذبيحة الخطأ والإثم ، وما يقدم شكراً على السلامة . ثم تكلم عن يأكل منها فقال : « (١٠) وكل أجنبي لا يأكل قدسا ، ونزيل الكاهن وأجيريه لا يأكلان قدسا (١١) فأما إذا اشترى كاهن إنساناً بماله فهو يأكل من القدمس ، وكذا مولود بيته إنهما من طعامه يأكلان (١٢) وأى ابنة كاهن تزوجت برجل أجنبي فهي لا تأكل

من قربان الأقداس ... (١٤) وأى إنسان أكل شيئاً من الأقداس سهواً فليزد عليه خمسة ويدفع القدس إلى الكاهن (١٥) ولا يدنسوا أقداس بنى إسرائيل التى يقدمونها للرب (١٦) ولا يتحملوا جناية لثم بأكلهم القدس لأنى أنا الرب مقدسهم .

وصدق الله تعالى إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصلون عن سبيل الله » .

ثمرة خبيثة :

هذا الانفصام النفسى الذى جناه اليهود ثمرة خبيثة لزرع خيث من فعالهم ، وذلك الذى فرضوه على أنفسهم بالنسبة لغيرهم ، ثم جر أذياله إلى الصلوات فيما بينهم ، إلى جانب مادأبوا على ترده فى كتبهم من أنهم الشعب المختار ، يحارب عنهم رب الجنود، وما يسلمهم إلى أعدائهم إلا ليرجع شعبه إليه فيسمع نداءهم وينصرهم ويخلد أعداءهم . كذلك ما عرف عنهم من تحرشهم بدماء غيرهم من الأدميين أو الأميمين ، وأنهم الوارثون لأثم الأرض بعد فسادها ، وما يتبع ذلك من السعى الدائب لهدم المجتمعات وتقويض أركانها ، كل هذا جعلهم غرباء نفسياً عن كل وطن يحبونه فيه ، أعداء لكل مجتمع يعيشون بين ربوعه ، أحرىاء بكل ماناهم وينالهم من عسف واضطهاد وتشريد .

ومع وضوح قضيتهم بحيث يكفى لبيان عوارها مجرد إيرادها ، ومع أنها تنادى على سوتها وسوأاتها بالنداء العالى ، لكننا سنقت قليلاً

مع دعوى صلاحهم واختيار الله لهم ، ثم مع تحرشهم بدماء غيرهم
واستباحتهم لها ، وعلى نهجنا سنشهدهم على أنفسهم .

القضية الأولى :

أما القضية الأولى فخلاصتها في وضوح وإنصاف كلمتان :
فضل إيمان ، وحقارة كفر .

١ - فضل إيمان :

فدعوى اختيار الله تعالى لليهود وتفضيلهم على غيرهم ، تلك
الدعوى التي يرددها كتابهم المقدس دائماً بما يصعب حصره هي في
الحقيقة لبس للحق بالباطل ، ومزج بين مختلفين لا يتقاربان ، فقد
اختار الله المؤمنين من بني اسرائيل في جملة من اصطفى من المؤمنين ،
وفضلهم برسالة موسى وهرون والأنبياء فيهم على الوثنيين ، وعلى
جاحدى الرسالات ومنكرها ، لابنوة خاصة ودم مختار ، فالكل
لآدم وآدم من تراب ، فمن استقام على للطريقة فهو في رضا الله ،
وإن كان من مصر التي طردتهم ، أو آشور التي داسهم ، أو كان من
بني جلدتهم ، وكتابهم الذي أكثروا فيه من دعوى الخصوصية ينص
على هذه الحقيقة في غفلة من تحريفهم وتبديلهم ، فيقول نبيهم أشعيا
في تعرف مصر إلى الرب ، ورجوع آشور إليه ، واقتفاء اسرائيل
طريقهما ما يلي : (٢٣) في ذلك اليوم يكون طريق من مصر إلى آشور
فتأتي آشور إلى مصر ، ومصر إلى آشور وتعبد مصر الرب مع آشور
(٢٤) في ذلك اليوم يكون لاسرائيل ثالثاً لمصر وأشور ، وبركة في وسط

الأرض (٢٥) فيباركه رب الجنود قائلاً : مبارك شعبي مصر ،
وصنعة يدي أشور ، وميراثي اسرائيل ، (نبوة أشعيا ف ١٩ ص ٢٤٧) .

ب - حقارة كفر :

فإذا انسلخ اليهود عن رسالات الأنبياء فقد كفروا بالله ، وضلوا
بعد علم ، وغضب الله عليهم ولعنهم ، وجعلهم شراً من الوثنيين ،
إذ جعل منهم القردة والخنزير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكاناً
وأضل عن سواء السبيل .

هذا عهد أنبيائهم لإلهم ، وهذا كتابهم شاهد عليهم ، وفي عهد
الله لسليمان الذي مضى ذكره شاهد واف بمعناه في الإيمان والكفر .

وهكذا يقول يوحنا (يحيى عليه السلام) للظالمين منهم : « (٧)
يا أولاد الأفاعى من دلکم على الهرب من السخط الآتى (٨) أثمروا ثمراً
يليق بالتوبة (٩) ولا يخطر ببالکم أن تقولوا إن أبانا إبراهيم ، لأنى أقول
لکم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم (١٠) ها إن
الفأس قد وضعت على أصل الشجرة ، فكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة
تقطع وتلقى فى النار ، (متى ف ٣ ص ٥) »

ومثل ذلك قال السيد المسيح فيما روى عنه مخاطباً الكتبة والقربيين
المرائين : « (٢٢) أبا الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من
دينونة جهنم ، (متى ف ٢٣ ، ص ٤٤) وفى هاورة أخرى
يقولون له : (٣٩) إن أبانا إبراهيم ، فقال لهم يسوع : لو كنتم بنى
إبراهيم لکنتم تعملون أعمال إبراهيم ، (٤٠) لكنکم الآن تطلبون قتلى

وأنا إنسان قد كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله ، وذلك لم يعمله إبراهيم ، (٤١) أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له نحن لسنا مولودين من زنى ، وإنما لنا أب واحد وهو الله ، (٤٢) فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى ، (٤٤) أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تهتغون أن تعملوها (يوحنا ف ٨ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣) ،

* * *

وهكذا بالعهد القديم والعهد الجديد ، كذلك بالمنطق النظرى والواقع العملى سقطت — وإنها لساقطة من قديم — دعوى امتياز اليهود ، وانتقاء دمائهم من سائر الدماء .

ضلال عزاء :

ولن يفيد اليهود شيئاً ما يُعزى به أحبارهم جمهورهم الشريد، حينما يجعلون من فاتحة دعائهم فى بعض صلواتهم تكرار دعوى الصلاح وإرث الأرض ، لأنهم فرع غرس الله تفاخراً ، ولندع الحديث والتعليق لمترجم التلمود (١) وشارحه إذ يقول ما نصه فى (ص ٥٨ ج ١)

(١) الدكتور شمعون يوسف مويال يهودى مصرى سنة ١٩٠٩ وليس تحت يدنا سوى الجزء الأول .

« الفاتحة »

« لم نجد لنسخة مطبوعة أو مكتوبة أو مترجمة من سفر بيري أبيوث إلا وهي مصدرة بالفقرة التالية بصفة فاتحة تلاوتها واجبة قبل تلاوة كل فصل من فصول هذا الكتاب ❧ وإليك نص الفاتحة :

« لكل إسرائيل نصيب في العالم الآتي — كما قيل — وقومك كلهم صالحون ، وسيروثون الأرض إلى الأبد ، لأنهم فرع غرسى ، صنع يدي للافتخار .

وهذه الفقرة لم نحسب في عداد متون هذا السفر ، لأنها بالحقيقة جزء من المتن الأول المصدر به الفصل الحادى عشر ❧ والذى يلوح لى أنها دخلت بصفة مقدمة على البيري أبيوث فى عهد تعاقب المظالم والاضطهادات على الأمة الإسرائيلية ، وخصوصاً فى الأعصر المظلمة ؛ لأنها تعيد المحرومين ❧ بنعيم عالم آخر لهم فيه نصيب وامتياز يعادل حومانهم الحالى ❧ ثم استعملت كفاتحة لكل ما يتلى من المشنة (١) بقصد التعبد — ويستطرد فى الشرح والتعليق ، ثم يقول (فى ص ٥٩) : من تفسير العلامة متدل كوهين الذى علقه على هذه المقدمة « جرت العادة أن تقال هذه الفاتحة قبل كل فصل من فصول الآباء التى ترنثت

(١) المشنة بمنزلة حق التلمود وشرحه يسمى إيشيماوة ، والمجموع يسمى التلمودة وهو يحتوى العبادة والقوانين والعلوم التى يترقبها الأمة فهو مجموعة معارف تلك الأزمان — وهو متعدد : أورشليمى ، وبابل مختلط طويلاً وقصيراً ، (من الديباجة ص : ومن ص ٤٩) .

تلاوة كل واحد منها في كل من السبوت الستة الواقعة بين عيد الفصح
وعيد الأسابيع .

القضية الثانية :

وثانية القضيتين هي تلك التعاليم التي تسهين بدماء الآخرين ،
بل تغري بها ، فعدا ما سبق بيانه من دستور الإبادة الجماعية للأمم التي
جُعِلت لإسرائيل ميراثاً ، ترى هذه الروح الشريرة وهي تسرى في
غير مظانها سريان السموم في الجسم السليم ، ففي بعض فقرات التلمود
وآتي تضم حكماً وتجارب ووصايا ، قد ترى الكثير منها إنسانياً معجباً ،
تجىء نفثات المعاني التي انضمت عليها حنايا الضمائر تتلوى لتقتل كل
معنى سليم ، وعلى سبيل المثال جاءت المشنة الثالثة عشرة (ص ٨١ ،
ج ١) وهي أربع جمل تضمنت أربعة معان في الترهيد في الشهرة
الزائدة ، وحفظ الناموس ، وطلب العلم ، والعفة عن اغتصاب
المناصب . يقول نص المشنة في طلب العلم : ومن لم يتعلم عند استطاعة
التعليم فقد استحق الموت — ويعلق شارح النص فيقول : لم يقصد
من عبارته هذه الحكم بالإعدام على من لم يحب العلم ، بل هو يشير
إلى المبدأ الراسخ في أذهان الأئمة السابقين له واللاحقين ، فقد ورد
غير مرة في التلمود أن الأمي محسوب في عداد الأموات وإن كان حياً .
وبعضى قائلًا : وقد تغالى بعض علماء التلمود فقال : « يحل بقرء
بطن الأمي كما تبقر بطون الأسماك حتى في يوم الصوم الكبير الواقع
في أحد أيام السبوت » .

ويعلق على هذا منتقداً ومدافعاً بما يحاله مقلداً فيقول : وفي ذلك من المبالغة والمغالاة ما لا يحصى على ذوى الألباب ، وإن تذرع به بعض خصوم التلمود للتمويه على الأذهان بأنه شريعة بربرية متوحشة ، لأن ما الموجب في حصر تنفيذ هذا الحكم في يوم قد ازدوج فيه تحريم العمل على الإسرائيليين مع تعدد الأيام الأخرى ، اه بنصه .

• • •

هذا هو منتهى دفاع الدكتور شمعون ، مترجم التلمود وشارحه بمباركة الجمل الفقير من رجالات اليهود .

ولئن كان المثل المعروف « يكاد المريب يقول خلونى » فلقد قال هؤلاء فعلاً خلونوا فلسنا مجرد مريبين ، ولكننا أئمة القنلة والسفاهين . إن النص في حل قتل الأئمة أو الأئمة وهو من عداهم — وهو تعبير شائع عنهم — واضح في التحريض الشديد ، وإن حاولوا التستر في الحض على العلم ، وليس فيه أى تخصيص لحصر التنفيذ في يوم ازدوج فيه تحريم العمل على اليهود ، بل فيه تقديم قتل هذا الأئمة بل الأئمة من كل من ليس يهودياً على أى عمل دنيوى متى أمكن قتله ، ولا ينافيه صوم ولا سهت ، وخارق السهت بعمل الدنيا عندهم مهله الدم ، ولكن ذلك العمل أشبه بالعبادة والتدين إن لم يكن عبادة ولدينا .

وهكذا تراكم شاعات اليهود ، سواء في الكتاب المقدس أو في التلمود ، فهل بعد هذا يتساءلون أو يتساءل غيرهم عن سر ما يبالغون من أذى واضطهاد ؟ وهل من عجب أن نرى سيلهم في رقابهم ؟ وما ظلمهم الله ، وما ظلمهم عباد الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

الفصل الخامس

كتاب اليهود المقدس والأخلاق

التوراة - أسفار موسى والعهد القديم - مسألة الألوهية -
شواذب - النبوة في وضعها الصحيح - النبوة في الكتاب المقدس :
أمثلة : لوط وبناته - داود والمرأة - ابن داود وأخته - ابن داود
وسراري أبيه - سلف - خلف - سفر استير - الجامعة - نشيد
الإرشاد - إفساد مقصود - نقلة مع العهد الجديد - مع نور الإسلام .

ونأتي بعد ذلك إلى خاتمة المطاف ، فنذكر طرفاً مما اشتمل عليه
الكتاب من معان تصادم الأخلاق والآداب .

التوراة :

إن التوراة كتاب الله أنزله على موسى نوراً وهدى للناس ، وإن
الشرعة التي نزلت على نبي الله موسى ديانة سماوية كبرى ، جاءت
بالحق في العقيدة ، والعدالة في الأحكام ، والمكارم في الأخلاق
والآداب ، شأنها شأن هدايات السماء ، لا تختلف أصولها في دين
عن دين ، وإن اختلفت بعض الفروع ، أو تغيرت جزئيات الأحكام
بتغير الظروف والبيئات ؛

وفي القرآن الكريم « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ، وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ » .

كتابهم أو العهد العتيق :

والعهد العتيق من الكتاب المقدس هو ما كان قبل المسيحية وأنجيلها ، وما يلي الأنجيل من رسائل الرسل ، ويسمى الأخير بالعهد الجديد (الأنجيل وما بعدها) وفي العهد العتيق بمجلديه الكثير من أمر اليهود ، ويضم أسفارهم المقدسة ، بما فيها ما نسب إلى موسى عليه السلام .

وأسفار موسى في عرف الباحثين هي الخمسة الأولى من العهد القديم : التكوين ، والخروج ، والأخبار ، والعدد ، وتثنية الاشتراع ، ومعلوم لدى المحققين أنها ليست من كتابة موسى ولا من إملائه عليه السلام ، وأن أصلها فقد فيما حل باليهود من نكبات وتشريد ، ثم دُونَتْ بمعرفة بعض أخبارهم بعد العودة من سبي بابل المشهور ، كذلك كتبت الأسفار التاريخية التي تليها وغيرها فجمعت إلى الصواب الخطأ الظاهر والتحريف المقصود ، وكانت على نحو ما قال الحق جل جلاله عن فريق منهم : « يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به » .

جاء في دائرة معارف لاروس الفرنسية الشهيرة تحت كلمة تورا ما يلي :

والعلم العصري ولا سيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أجبار لم يذكروا اسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية » (نقل هذا وجدى في دائرة معارفه ج ٢ ، ص ٧٠٢) :

ونقول في موضع آخر : اتفق قدماء المسيحيين وقدماء الوثنيين على مدح مؤسس الديانة الموسوية ، ولو أنهم لم يعلموا عن أعماله شيئا كثيراً ، فإنه من الثابت أنه وإن كان قد أسس مدينة وديناً فإننا لا نملك الكتاب الحقيقي لشريعته ، ولقد نسبت إليه التوراة أو الخمسة الكتب الأولى من الكتاب المقدس ، ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لا نزاع فيها من الحواشي والتنقيحات ومن علامات أخرى تدل على أنها ألقت بعد الزمان الذي مات فيه موسى بعهد طويل ، فقد ذكرت فيه مدن لم توجد إلا بعد موسى ، ويلاحظ تالي التوراة أن مؤلفها الذي لم يذكر اسمه يُنَوّه عن موسى كما ينوّه عن رجل مات منذ قرون كثيرة — وأفاضت دائرة المعارف الفرنسية في كثير من ضروب النقد التي توجه إلى التوراة ، واعتراضات بعض كبار المفكرين ، وما يتصل بلغة موسى وقد تربى في مصر ، ولغة بني إسرائيل وظروف التيه ، ثم قالت : « والواقع أنه عُرِف الآن بما يكاد يصل إلى حد الإجماع في العالم العلمي بأن التوراة قد حررها « اسدارس » بعد رجوعه من أسرابابل ، بمساعدة مستندات قد ضاعت الآن ، وأساطير عربية كان لها تأثير مستمر في طابع الشرق » .

فإذا كان هذا بالنسبة إلى أسفار موسى عليه السلام وهي أصل
الكتاب المقدس في العهد العتيق ، فكيف بما بعد أسفار موسى من
الأسفار التاريخية ، ومن أسفار النبوءات والروى المنامية وسواها ،
مما ضمه العهد العتيق في مجلديه ، مما سيجىء عن بعضه حديث قريب .

• • •

ولقد أنزل الحق سبحانه شرائعه نوراً وهدى لأولى الألباب ،
فإذا وجد في كتاب ديني زيغ في عقيدة ، أو جور عن عدالة ،
أو انحراف عن خلق كريم ، وأدب قويم ، فلن يكون مصدره العلم
الحكيم ، ولا هو من تعاليم نبي معصوم ، اصطفاه الله برسالاته
وبكلامه ، فحمل ما آتاه ربه وكان من الشاكرين : وأنى يكون
الفضال هدى ، والباطل تنزيلاً ، والزيف نوراً ؟ ، إنما هي
الأنواء حادت عن القصد ، وجعلت من التنزيل قراطيس تبدى
ما تشاء ، وتخفى ما تريد ، وتلهس الحق بالباطل ، وتفترى الكذب على
الله ، « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من
عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم
مما يكسبون » .

• • •

وإذ قد عرطننا للكتاب المقدس لدى اليهود ، فليمن من همنا أن
نقص المثالب والمعائب وما أكثرها فيه ، ولا أن نكشف جنائته على
الآداب والأخلاق فحسب ، بل أن نصور إجمالاً جوانبه المتقابلة على

وضعها الحقيقي كما هي مما يتصل بموضوعنا ليستبين من ذلك ما اختلط فيه الهدى بالضلال ، وامتزج فيه الحق بالزيف والتحريف ، وشأن الباطل المدعى مزجه بحق ظاهر ، ومنهج قاصد ، يهيم سبيله إلى النفوس ، وطريقه إلى القلوب ، ولو قد عرض عليها عارياً لبادرته بالرفض والإباء .

وقارىء هذا الكتاب الذى يدين بما فيه ملايين البشر سيقروا على أنه كتاب هداية ورشاد ، ونبراس خلق ودين ، أو هكذا يجب ، وسوف يمضى فى القراءة من فصل إلى فصل ، ومن سفر إلى سفر ، ثم يجتاز — إن كان ذا جلد فى المطالعة ، وصبر على الدرس — مجلداً إلى مجلد فى العهد العتيق بلغا نحو ألف ونصف ألف من الصفحات ، وسيجد نفسه فى غالب أمره بين ما يصدم شعوره الإنسانى بله الدينى الرفيع من أعاجيب الفعال حوتها صحائفه ، وما يلمح نور الوحي فيه ظاهراً فيراه من آثار النبوة وهدى الرسالة ، سبرى فى الكتاب ما يخالف المعقول والمنقول ، وما يجافى كل عرف وأدب .

ويرى فيه تاريخاً وقصصاً وأنساباً وفروعاً وجزئيات أخبار .

كما يرى أحكاماً تشريعية فيها حكمة وسداد ، ودعوة إلى العدالة والرحمة ، وحث على الاستقامة ومراقبة الله .

وبودى لو قدمت هذا المعنى الأخير لو أنه أبرز معنى فى الكتاب ، أو كان محضاً غير مشوب ولكنه مع الأسف يشوبه الكثير .

واليك على ما نقول مثلاً سرباً من لقيت الأمثلة التي زخر بها الكتاب ، والتي منسوق بعضها في مكانها ، وذلك في أمر هو أصل الأصول من كل دين سماوى وهى :

مسألة الألوهية :

يقول الكتاب عن سليمان عليه السلام في مناجاة لله طويلة ، بعد أن بنى الهيكل بأمر الله ، ووضع تابوت العهد ، وصنع منبراً وقف عليه :

« (١٣) ثم جثا على ركبتيه أمام جماعة إسرائيل كلها وبسط يديه نحو السماء ، (١٤) وقال : أيها الرب إله إسرائيل ليمن إله مثلك في السماء ولا في الأرض حافظ العهد والرحمة لعبيدك الذين يسلكون أمامك بكل قلوبهم ... (١٨) إن السماوات وسماوات السماوات لا تسعك فكيف هذا البيت الذى ابتليته ، (١٩) التفت إلى صلاة عبدك وتضرعه أيها الرب إلهي واسمع الهتاف والصلاة اللذين يصلى بهما عبدك أمامك ، (٢٠) لتكون عينك مفتوحة على هذا البيت النهار والليل ، على الموضع الذى قلت إنك تجعل اسمك فيه لتسمع الصلاة التى يصلها عبدك نحو هذا الموضع ... (٣٠) أنت وحدك تعرف قلوب بني البشر ، (٣١) ليتقوا اسمك ، (٣٣) ليعرف جميع أمم الأرض اسمك ويتقوا مثل شعبك ويعلموا أن اسمك دعى على هذا البيت الذى ابتليته » (١)

(١) سفر الملوك الثالث ص ٥٦٦ وسفر أخبار الأيام الثاني ص ٧١١ والنص

وهذه الفقرات من مناجاة سليمان وتقديسه جزء من أدعية كثيرة في مواضع شتى ، ومن قبله داود في مناجاته ودعواته وبخاصة في مزاميره ، ومن قبلهما الأنبياء الكرام ، فموسى وهو إمام الهدى في التوراة يقول في وصاياہ لشعب إسرائيل : « (١٤) إن للرب إلهك للسموات وسموات السموات ، والأرض وكل ما فيها . . . » (١٦) فاختموا قلف قلوبكم ، ورقابكم لا تقسوها أيضاً ، (١٧) لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ، ورب الأرباب الإله العظيم الجبار الرهيب للذى لا يحابى الوجوه ولا يقبل رشوة ، (١٨) قاضى حق اليتيم والأرملة ، ومحِب الغريب ، يرزقه طعاماً وكسوة » (سفر تثنية الاشرع ، ص ٣٠٥) .

• • •

فكيف يتفق هذا الجلال الإلهى العظيم مع دعوى مصارعة يعقوب النبي عليه السلام لرجل إلى الصباح ، وأن الرجل الذى لم يقدر على يعقوب لمس حَقِّ ورك يعقوب فانتزع من لمسته ، وأن هذا الرجل سمى يعقوب إسرائيل ، وأخفى اسمه عن يعقوب ، في كلام غامض صرح بعده يعقوب بأنه لقي الله وجهاً إلى وجه — ولنتقله بنصه من كتابهم ليكون تحت نظر القارئ الكريم فيشاركنا الرأى فيه .

في الفصل الثانى والثلاثين من سفر التكوين جاء ذكر عودة يعقوب من رحلته عند خاله بزوجتيه ابنتى خاله وبنيه وعبيده وماشيته ، كما ذُكِرَ فيه خوف يعقوب من أخيه عيسو بكر أبيهما إسحق الذى أخذ

يعقوب حق بـكـرِيَّتِهِ برضاه ، واحتال بمساعدة أمهما على أخذ بركة أبيه من دونه خداعاً كما سبق : : وأراد يعقوب التودد إلى أخيه فقدّم بين يديه عبيده وأولاده ، كما قدم هدايا إلى أخيه تلطفاً ، ثم جاء بعد ذلك مانصه (ص ٥٦) : « (٢٤) وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل إلى مطلع الفجر (٢٥) ورأى أنه لا يقدر عليه فلمس حُقّ وركه فانخلع حُقّ ورك يعقوب في مصارعة له (٢٦) وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك أوتباركني (٢٧) فقال له : ما اسمك ؟ قال : يعقوب (٢٨) قال : لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رؤيت عند الله فعلت الناس أيضاً تستظهر (٢٩) وسأله يعقوب وقال : عرفني اسمك فقال : لم سؤالك عن اسمي وباركه هناك (٣٠) وسمى يعقوب الموضع فنوئيل قائلاً : إني رأيت الله وجهاً إلى وجه ، ونجيت نفسي » (١)

• • •

فهل كان الله تعالى يصارع يعقوب وعجز عنه ، أو كان ذلك تدريباً ليعقوب على لقاء أخيه ؟ ولئن كانت الأخيرة وإنها لأهون الشئعتين ، فلم يؤت الدرس ثماره في هذا الصدد ، إذ اشتد بعده

(١) في المنجد قسم الأدب والعلوم في مادة إسرائيل يقول : سمي به يعقوب بعد أن قاوم الملاك - وليس في تمييز الكتاب المقدس ما يشير إلى هذا التخريج - وفي أول الفصل أن ملائكة الله وافقت يعقوب ، ومع ذلك فقد خاف جداً من أخيه عيسو ، وفادء. قائلاً : يا إله أبي إبراهيم وأبي إسحق ... أفلتني من يد أخي عيسو. راجع الفصل المشار إليه (ف ٣٢ من سفر التكوين) .

خوف يعقوب من أخيه عيسو ، كما جاء في أول الفصل الذى يليه ،
حتى لم يكفه أن سجد لأخيه عيسو مرة أو مرتين ، بل أتم سبع مرات ،
بعدها تعانق الأخوان وتباكيا ، ثم تقدمت أمتهما وأولاده منهما
وسجدوا لأخيه ، كما تقدمت زوجته وأولاده منهما وسجدوا كذلك
(ص ٥٧) .

هذا هو موقف الكتاب من الألوهية ، ترى معاني وتعبيرات
عليها طابع النبوة ، وآثار الوحي — تقابلها ظلمة حالكة لا يقرها
عقل ، ولا يطابقها صحيح نقل ، تستطيع بعد هذا أن تضم كل طائفة
إلى معناها وتقرنها بأشباهها .

فالرب سبحانه (١) : « هو الأول والآخر ، إله جميع الممالك ،
وحده لا إله غيره ولا شبيه له » ، إله عظيم ، وملك عظيم على جميع
الآلهة ، وجميع آلهة الشعوب أصنام ، رعوف رحيم ، طويل الأناة ،
كثير الرحمة ، عزيز جبار خالق العباد ، وصانع قلوبهم جميعاً ،
وعالم بأعمالهم كلها ، العدل والقضاء قاعدة عرشه » .

يقابل هذا أمثال تلك النصوص :

« فسمعنا (آدم وحواء) صوت الرب وهو متمشٍ في الجنة
(ص ٧ من سفر التكوين) — رأى بنو الله بنات الناس أنهن حسنات ...
دخل بنو الله على بنات الناس ، وولدن لهم أولاداً ، أولئك هم

(١) هذه الأوصاف بلفظ الكتاب المقدس ، ولم نذكر الصفحات تخففاً ولشيوعتها
فيه ... أما الأوصاف الأخرى المقابلة فقد نسبناها إلى أماكنها ، لا لحصرها ، ولكن
ليزداد القارئ اطمئنناً ، وليرجع إليها في مكانها من شاء .

الجبابة ... فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه (ص ١١ - ١٢) . فندم الرب واغتاظ لما أغضبه بنوه وبناته (ص ٣٤١ تثنية الاشتراع) . ندم الرب على أنه ملك شاول على إسرائيل (ص ٤٧١ الملوك الأول) . قم الآن أيها الرب الإله إلى راحتك (٧٠٣ من دعاء سليمان ف ٦ سفر أخبار الأيام الثاني) : قم أيها الرب إلى راحتك أنت وتابوت عزك (١٤٧ مزامير داود) : رأيت الرب جالساً على عرشه وجميع جند السماء وقوف لديه على يمينه وشماله (٥٩٩ سفر الملوك الثاني) : الرب كجبار يعز وكرجل قتال يشر غيرته ويهتف ويصرخ ويظفر على أعدائه (٢٧٧ نبوءة أشعيا) : سطع دخان من أنفه ومن فيه نار آكلة ، جمر متقد ، طأطأ السماوات ونزل والضبباب تحت قدميه ، ركب على كروب وطار وخطف على أجنحة الرياح (ص ٥٧ - ٥٨ مزامير) .

من هنا ، وغيره كثير ، يستعين مقلناه عن تصوير الكتاب المقدس للألوهية ، ولئن أمكن الاعتذار عن بعض ماورد في القسم الأخير من غلبة المجاز ، وعجز اللغة ، وضعف الترجمة ، فالأمر في مجموعه كما تبين حق يشوبه باطل ، وتقديس يخالطه تمثيل ونشيه - أما النبوة وحديث الكتاب عن الأنبياء فالأمر جد مختلف ، وهاك عنها كلمة :

النبوة في وضعها الصحيح :

بعث الله النبيين هداة راشدين ، واختارهم مبشرين ومنذرين ، واصطفاهم من خلقه و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وأقامهم مثل

هداية وأعلام رشاد ، يهدون بأمر الله إلى الخير وإلى صراط مستقيم ، وأوجب لهم العصمة الكاملة ، لتصح بهم القدوة ، وتقوم بهم الحججة فلا يكون من أحدهم عمل ينال من كرامته ، أو يقدح في عدالته ، أو يحط من منزلته العلية بين ذوى المروءات والعقول الراجحة ، نعم تنالهم الشدائد والأعراض البشرية ، ويصيبهم الأذى من الأعداء ، وهم في جهادهم وعظيم بلائهم وعلوهمهم تزداد القدوة بهم رسوخاً ، وتعظم الأموة للمؤمنين فيهم وضوحاً .

وعقيدة المسلم في جميع رسل الله تعالى عقيدته في نبيه الكريم الذي وصفه الحق تعالى بقوله : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » . ولقد فضل الله بعضهم بهيزات ، ورفع بعضهم درجات ، نوراً على نور ، وإن كانوا جميعاً في أصل الهدى على سواء « لا تفرق بين أحد من رسله » .

أما المسامحة بعصمة واحد منهم فليس افتراء على الحق والواقع فحسب ، ولا اجتراء على مثل الإنسانية العليا في أكمل صورها ، بل هو طعن في الحكمة الإلهية التي اختارهم على علم ، وجل الله عما يقول المبطلون ، ويقتري الظالمون .

في الكتاب المقدس :

تطالع أمر النبوة في الكتاب المقدس فلا ترى لها ذاك الضياء ، ولا هذا البهاء ، بل تراها ذابلة شاحبة تلوح من بعد على استحياء ، فأبراهيم المجاهد بنفسه وولده وعاله لله ، والذي حطم الأصنام ،

ومحمدى الجبارة الطَّغَام ، وألقى من أجل دعوته فى النار فأنجاه الله ، فى كفاح طويل ، وجهاد موصول كان به للناس إماماً ، وعلى مدارجه ومن نسله درج الأنبياء ، ابراهيم فى التوراة جُلَّ أمره غم وماشية يرعاها وترعاها عبيده ، أما نبوته ، وأما رسالته ، فيشار إليها فى كلمة عابرة ، وكل ما فى الأمر لا يعدو بناء عدة مذابح فى أماكن متفرقة تقدم عليها القرابين . ولعل قصة امتحان (١) إبراهيم فى ولده وما كان من فدائه لم يشر إليها إلا رغبة فى الإشادة بإسحق الذى ينتسبون إليه ، واغتصاب شرف عرف لإسماعيل جد العرب .

كذلك شأن إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان من كبار الأنبياء ، وهم فى النبوة غير ظاهرين .

وأظهر نبي فى التوراة موسى ومعه أخوه هرون عليهما السلام ، وقد لقيا فى تبليغ الرسالة ثم فى قيادة بنى اسرائيل من العنت الشئء الكثير — وسبقت الإشارة إلى بعضه — ولم يدخلوا الأرض المقدسة التى خرجا من مصر بنى اسرائيل يقصدونها بشوئم التخاذل والمعاصي من بنى اسرائيل .

• • •

(١) فى القصة كارتوتها التوراة ما يكذب الزعم بأن الذبيح إسحق ، فإسحق جاء به لإسماعيل ببضعة عشر عاماً (ص ٢٧) وفيها وصف الذبيح بأنه وحيد إبراهيم ، وليس ذاك إلا إسماعيل قبل ولادة إسحق ، وتكرر الوصف لابن بالوحيد بضع مرات فى القصة (ص ٣٤) .

ومثل هذا إغفال بناء إبراهيم وإسماعيل البيت الحرام بمكة ، ودعوى التوراة إقامة إسماعيل يهوية سيناء ، ومصاهرته المصريين حسب اختيار أمه .

ولواقصر الأمر على هذا لكان قصوراً وربما كان هيناً ، ولكنه تجاوزه تجاوزاً طاعياً على عصمة الأنبياء وكرامتهم وسلامة دينهم . فالفسق والتعجور منسوبان في كتابهم إلى فريق من كبار الأنبياء ، والزيف والكفر منسوبان كذلك إلى فريق من كبارهم . والغش والخداع ألصقتهما الأسفار بساحة فريق آخر من عظمائهم . ونحن مضطرون أسفين إلى كشف شاعات اليهود ، وتهجمهم على مقام الهداة المرشدين ، ومحاولتهم النيل من مثل الإنسانية العليا التي أقامها الله رحمة بالإنسان في سيرته عبر التاريخ منذ الخليقة إلى يوم يبعثون .

وعلى سبيل المثال :

لوط عليه السلام وبناته :

لوط النبي المعصوم وبناته المؤمنتان معه بعد هلاك قومه وهجرته من أرض الفساد التي أمطر الرب عليها كبريتاً وناراً فدمرها تدميراً ، يقول كتابهم (في ص ٣١) من سفر التكوين بشأنهم ما يلي :

« (٣٠) وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه (٣١) فقالت الكبرى للصغرى : إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة أهل الأرض كلها (٣٢) تعالى نسق أبانا خمرأ ، ونضاجعه ونقيم من أبنائنا نسلا (٣٣) فسقتا أباهما خمرأ تلك الليلة ، وجاءت الكبرى فضاجمت أباهما ولم يعلم بنيامها ولاقيامها (٣٤) فلما

كان الغد قالت الكبرى للصغرى هأنذا ضاجعت أمس أبى فللسقة
خمرأ الليلة أيضاً وتعالى أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلا (٣٥) فسقنا
أباهما خمرأ تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم
(٣٦) فحملت ابنتا لوط من أبيهما (٣٧) وولدت الكبرى ابناً وسمته
موآب ، وهو أبوالموآبيين إلى اليوم (٣٨) والصغرى أيضاً ولدت ابناً
وسمته بَنَعَمَى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم ۝

هذا ما يقوله كتابهم ، وعنصر التلفيق والكذب ظاهر لا يغشيه
قولهم : ولم يعلم بنيامهما ولاقيامهما - وإذا ذكرنا أن هؤلاء الموآبيين وبني
عمون أعداء الإسرائيليين ، لأنهم لم يتلقوا آباءهم عند مجيئهم من
مصر بالخبز والماء ، كما مرت الإشارة إليه في الفصل السابق تحت
عنوان - خبز وماء - افتضح سر القرية على هؤلاء القوم ، وعلى
نبي الله الكريم ، وابنتيه المؤتمنتين الطاهرتين .

داود والمرأة :

وهذا داود النبي الأواب ، الذى آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ،
يزعم كتابهم - وقد شهد له مراراً بالاستقامة وطهارة القلب (ص
٤٥١) وشهد له الرب سبحانه في خطابه لسليمان (ص ٨٥٠) وشهد
هو لنفسه بفضل الله عليه في الإخلاص والاستقامة - يزعم برغم
هذا كله في كلام طويل أن امرأة لجار له أعجبت « فأرسل رسلاً وأخذها
فدخلت عليه ، فدخل بها . . . وحملت » فاحتال على قتل زوجها
في الحرب ، مع شدة إخلاص الرجل لداود ، وأدبه الجلم الذى

أبرزته القصة بنضح نبلا وتفانياً ونجدة ، ووصفت داود النبي بكل نقیصة : فلما قتل الزوج بكتته زوجته حيناً ، ثم ضمها داود لنفسه زوجة جاء منها النبي العظيم والملك العظيم سليمان ، عليهما السلام . ومن العجب أن يكون هذا الرجل النحيل الذي خدم داود بإخلاص وأبى في عودة له من ميدان القتال أن يتزل إلى بيته وامراته ، برغم أمر داود له بالتزول إلى بيته ليغسل رجله على حد تعبير كتابهم - معتدراً بأن التابوت وإسرائيل ويهوذا مقيمون في الخيام على وجه الصحراء ، ويصر على أن ينام على باب بيت الملك داود مع التائبين حتى يعود إلى ميدان القتال : هذا الرجل هو «أوريا الحثي» من بني حث أصحاب الفضل الأول في تمليك إبراهيم عليه السلام قطعة أرض يدفن فيها زوجها سارة ، وقد رحبوا بأن يدفن ميتة في أي مكان شاء من مدافنهم ، فلما رغب مكاناً خاصاً عرضوه عليه هبة ، ولم يقبلوا منه ثمناً إلا تزولاً على رغبته الأكيدة .

وكان كاتب الكتاب عدوً لبني إسرائيل واليهود ، وما عدوهم الحقيقي إلا شرور أنفسهم وخبث طواياهم ، ومبثات أعمالهم (١) (فك ١١ ص ٥١٧ سفر الملوك الثاني) .

(١) ظهرت في الصحف الإسرائيلية من سنوات قليلة فضيحة نقلتها صحيفة الأهرام في حينها مفصلة ، مؤداها إفساد وزير إسرائيل زوجة ضابط ، وهدم بيتها بطلاقها من زوجها ، وشكواها في مذكرة إلى رئيس وزرائه الذي دافع عنه أمام الرأي العام ، متخذاً من أسطورة أوريا الحثي مثلاً في الاحتفاظ بنظام الرجال في خدمة أمتهم ، وإن ارتكبوا نقائص خلقية ، وهنسوا بيوتاً وأسراً . وهكذا تعود القنوة الطاهرة المصومة في نفوس الأشرار مثلاً شريراً وقنوة سيئة .

من ثمار الفرية :

وتأتى ثمار هذه الجريمة المقررة على لبي الله داود شوكة وحفظاً
فما زعم اليهود ، فيروى الكتاب المقدس تمام القصة في فصلين
(١١ ، ١٢ من سفر الملوك الثانى) ويذكر نقل الخطيئة عن داود
إلى غيره بحيث لا يموت هو ، وإنما يموت الطفل الذى تخلق من زنا ،
كما يذكر إنذار داود بأن الرب سيثير عليه الشر من بيته ، وسيأخذ
أزواجه ويدفعهن إلى غيره فيدخل عليهن فى عين الشمس ، وعلى
عيون جميع اسرائيل (ص ٥٢٠) :

أمون بن داود وأخته :

وقبل أن يتحقق ما أنذر الرب به خاصاً بزوجات داود ، نجى
شئعة بين ابن لداود وأخته من أبيه ويبسط الفصل (١٣) من السفر
نفسه) كيف تدله ابن داود فى حب أخته من أبيه حتى سقم ،
فنصحها قريب لهما نصيحة شيطانية استطاع بها أن ينال بغيته منها ،
وضاجعها اغتصاباً ، ويسمع داود بالأمر ويغضب ، ولكنه لا يعاقب
ابنه الجانى ولو بكلمة : « لأنه كان يحبه إذ كان بكره » غير أن شقيق
الفتاة يسر أمراً فى نفسه ثم يلتقم لأخته بقتل أخيه ، ويغضب داود
ثم يرضى .

ويقرأ القارئ القصة ويمتلئ القلب أسفاً وغيضاً ، أوزارياً
وعجباً حين يقرأ فى ثناياها مثل هذه النصوص : (٢) وتدله أمون
حتى سقم فى تامارا أخته ، لأنها كانت عذراء فكان يعسر عليه أن

يصنع بها شيئاً (٣) وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمع
 أخى داود ، وكان يوناداب رجلاً ذكياً جداً (٥) فقال يوناداب :
 اضطجع على سريرك وتمارض فإذا أتاك أبوك ليعودك فقل له لتجىء
 تمار أختى ، وتطعمنى خبزاً وتعمل الطعام أماًى ، وأكل من يدها ،
 إلى أن يقول (١٩) فجعلت تمار رماداً على رأسها ، ومزقت
 القميص الموشى الذى كان عليها ، ورفعت يدها على رأسها وذهبت
 وهى تصرخ (٢١) وسمع داود الملك بجميع هذه الأمور فاغتاظ
 جداً ولكنه لم يحزن نفس أمنون ابنه لأنه كان يحبه إذ كان بكره (٢٢) الخ ،
 فهذا السوء الذى يقصه كتابهم ، ويثير من اشتزاز النفوس ،
 للكرامة مالا تبلغ العبارة وصفه ، لا يكتفى الكتاب بمجرد سرده ، حتى
 يضيف إليه من سوء نفسية كاتبه ما يغرى أمثاله بأمثاله (٢٣) فالفتاة
 لو كانت ثيباً لم يعسر عليه فى رأى الكتاب ما يريد ، وابن العم لاهمه
 شرف أسرته بل هو يغرى بانهاكه ، وعلى يد أحق الناس برعايته ،
 والكتاب يبارك هذا كله ، ويصفى يوناداب بأنه ذكى جداً (٢٤) فصلا
 كاملاً فى ٣٩ فقرة فى قرابة ثلاث صفحات من قداصة الكتاب .
أبشالوم وفراش أبيه :

وأبشالوم هذا هو شقيق تمار الذى انتقم لشرفها من أخيه
 أمنون ، وفر من وجه أبيه داود حتى استرضاه ، ورضى عنه ، فدخل
 عليه وسجد بين يديه ، ولم يلبث إلا قليلاً بمكث لنفسه ويتعجب إلى
 للشعب ثم خرج على أبيه ، وطلب الملك لنفسه ، وقاتل أباه وطارده ،
 وهذا الابن الذى غضب سابقاً للشرف وانتقم له من أخيه ، لم يبال

بشرف أبيه ، فتعمد انتهاك فراشه على مشهد من عامة الشعب إزراراً بقميره في نفوس إسرائيل كي يشتد ساعدهم معه في مقاومة أبيه .
جاء في الفصل السادس عشر من جملة الفصول التي مردت القصة مايلي : (٢٠) وقال أبشالوم لأحيتوفل : أشيروا ماذا نصنع (٢١) فقال أحيتوفل لأبشالوم : ادخل على سراري أبيك الآن توكن لحفظ البيت ، فيسمع إسرائيل جميعهم أنك صرت مكروهاً من أبيك فتشتد أيدي جميع الذين معك (٢٢) فضربت لأبشالوم خيمة على السطح ، ودخل أبشالوم على سراري أبيه على مشهد جميع إسرائيل (٢٣) وكانت المشورة التي يشير بها أحيتوفل في تلك الأيام كمشورة من يسأل الله .

• • •

وتنتهى فتنه أبشالوم بقتله عقب معركة انهزم رجاله فيها ، برغم وصاية الملك لمن معه أن يترفقوا « له بالفتى أبشالوم » فلما بلغ الملك مصرعه أذهلته الصدمة ، وظل يبكي بكاء شديداً ، ويقول وهو يتمشى في لوعة وذ هول : يا بني أبشالوم يا بني أبشالوم ، يا ليتني مت حوضاً منك يا أبشالوم ابني يا بني (ص ٥٣٤) .

وكان الملك لا يجه من الأمر كله إلا ولده الذي خرج عليه ، وكشف سوء سراريه ، غير مبال بانتهاء الفتنة ، واستمر في بكائه بصوت مرتفع ، وفي هذا يقول كتابهم : (٣) فصارت النصر في ذلك اليوم مناحة (٤) وأما الملك فستر وجهه ونادى بصوت عظيم : يا بني

أبشالوم يا أبشالوم ابني ، يا أبشالوم ابني يابني (٥) فدخل يوبأ على الملك في البيت وقال له : فد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك الذين نجوا نفسك اليوم ، وأنفس بنيك وبناتك وأنفس أزواجك وأنفس سراريك (٦) بحبك لمبغضيك ، وإبغاضك لمحبيك .. (٧) فقم الآن واخرج وطيب قلوب عبيدك ... (٨) فقام الملك وجلس بالباب ، فأقبل الشعب كلهم .. (ص ٥٣٥) .

سلف :

وقد نسب الكتاب لأحد أبناء يعقوب عليه السلام ، وهو يكره وأوبين مضاجعته لسرية أبيه ، وأن أباه سمع بذلك ولم يذكر أنه صنع شيئاً (ص ٦٠ من سفر التكوين ف ٣٥) .

* * *

كما لسب ليهوذا (ولد يعقوب) أنه ضاجع كنيته (زوجة ولد له مات) بحسبها بغياً وأنها علقت منه ، فلما ظهر حملها أراد إقامة الحد عليها بإخراجها لتحرق ، فأقامت حجة عليه - فصلها كتابهم - بأن الحمل منه ، فاعترف بأنها أبرئ منه ولم يعرض لها بسوء (ص ٦٦ من سفر التكوين ف ٤٨) .

خلف : « سفر استير »

كما أقام الكتاب نصباً تذكاريّاً موحياً لليهود بأخلاقهم وطرانقهم من القديم إلى اليوم ، كاشفاً لغيرهم عن سوءاتهم وأحاييلهم حينما سجل في جملة أسفاره سفرها خاصاً بشيد بامرأة يهودية جميلة ، استعمل

جاءها رجل يهودى فى خدمة بنى جنسه أثناء سبى بابل المشهور ، فقدمها إلى حارس النساء فى بيت الملك الفارسى الذى قدمها بدوره إلى الملك لتختبر كغيرها من العذارى اللائى يوضعن تحت الاختبار من المساء إلى الصباح ، فأحبها الملك ونالت حظوته ، وجعلها ملكة مكان الملكة السابقة التى فارقها ، فلما استهوت الملك احتالت حتى قضت على عدو اليهود فى فارس ، ثم استلرت عطف الملك على بنى جنسها ، فرد إليهم حريتهم ، وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين ، وأمر بمعاونتهم ، تلك اليهودية هى المدعوة باستير ، وسفراستير هو خاتمة أسفار المجلد الأول من الكتاب المقدس : العهد العتيق . (من ص ٨١٢ - ٨٢٦) .

سفر الجامعة :

ثم لانتقف مخازى الكتاب الخنسية عند حد سرد الأفاصيص واقعة أو مفتراة ، ولكنه يمضى فى استكمال الإطار العام لصورة شوهاء عجبية لكتاب دينى عجيب .

فما ينتهى القارىء من سفر أيوب وفيه صبره وإيمانه ، ومن سفر المزامير وفيه توسلات داود ومناجاته ، وسفر الأمثال وفيه خبرة سليمان وحكمته ، حتى يلتقى بسفر الجامعة بما حوى من اضطراب وحيرة وإلحاد ، إذ يتردد بين الحكمة والحقاقة ، والعلم والجهل ، والإقراو والإنكار ، والإيمان والكفر ، ثم تنتهى الدعوة فيه إلى التمتع بالحياة والخمر والنساء ، فالكلب الحى خير من الأسد الميت ، وليس للأموات من جزاء (ص ٢١٠) ،

ويطرد في هذه المعاني الموحية بالقلق والاضطراب إلى أن يحتم هذا الخلط والضلال بالأمر بتقوى الله وحفظ وصاياه ، لأن الله سيحضر كل عمل لبدين على كل خفي خيراً كان أو شراً (ف ١٢ ص ٢١٣) .
 وإن أردت أن تعرف من الجامعة فقد عرفت بنفسه في الفصل الأول إذ يقول فيه : كلام الجامعة ابن داود ملك أورشليم : (١٢) أنا الجامعة ملكت على إسرائيل بأورشليم ... (من ص ٢٠٠ - ٢١٣) (١) .
نشيد الإنشاد :

وإذا كان الجامعة قد ختم لغوه وخلطه بعبارة يأمر فيها بتقوى الله ، فإن سفر آخر يليه يسمى نشيد الإنشاد ليس فيه شيء من الخلط ، وإنما هو صفو صراح ، ولكن في معاني الغزل المكشوف ، كأسمج ما يكون الغزل ، وأوضح ما يكون الفحش ، دونه على فصوله الثمانية القصار ما عرفناه لشعراء الغزل من جاهليين وغيرهم .
 ثم لمن هذا السفر من الكتاب المقدس ؟ إنه لسليمان فيما زعم كاتبه ، وأين موضع هذا الإسفاف من سليمان الحكيم ؟ ولكن لا عجب فإذا صاغ للكتاب نسبة الزيف إلى بني معصوم ، فهل يستغرب وصفه بها دون ذلك من لغو المقال (٢) .

(١) ويعرف به صاحب المنجد فيقول : الجامعة (سفر) كتاب من أسفار العهد العتيق أوله الآية الشهيرة : « باطل الأباطيل ، وكل شيء باطل (القرن ٣ ق م) ويكنى - وأقول : وهذا يكنى في الترجمة عن منهجه .

(٢) ويعرف بنشيد الإنشاد صاحب المنجد فيقول : عنوان سفر من أسفار العهد القديم ينسب إلى سليمان بن داود ، وفيه التغزل بالغلب الإلهي مستعاراً من التغزل بالغلب البشري - وأقول : ليس فيه من حب الله ولا مجرد ذكره تعالى لفظ ولا معنى .

افساد مقصود :

فعل في بعض ماعرضناه غنية عما سواه ، تشير إلى جنازة الخلط في الكتاب على الأخلاق والآداب ، ولنا حاجة إلى التذكير بأن ما خالف المعقول والمنقول ليس من دين الله ولا هدى الأنبياء قط ، وإن تناولته أقلام ، ولا كفه لسان ، وأشدّه منشدون .

ولكن الذي لا ريب فيه أن اليهود إذا عمدوا من هذه التعاليم - كما عرف عنهم - إلى إشاعة الفوضى الخلقية والانحلال في المجتمعات ، فإن يكون ذلك عن سوء قصد فحسب ، ولكنه كذلك رهنا لفطر منكوسة ، ونفوس مثوقة ، وحاشا لله وأنبياؤه الكرام أن يكون هذا السوء من التزويل بسبيل .

نقله مع العهد الجديد :

لننقل بعد ذلك نقلة لعلها تغسل بعض أوصار هذه القبايح المسطورة في هذا الكتاب العجيب ، فرى في العهد الجديد من الكتاب المقدس ، من تعاليم الأناجيل ، وما نسب إلى السيد المسيح في دعوته إلى العفة والطهارة ، وقطع وساوس النفس ، ونوازع الهوى مثل هذا النص الذي يتكرر ويتأكد قد سمعتم أنه قيل للأولين لا لآخر ، أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه ، فإن شككتك عينك اليمنى فأقلعها وألقها عنك فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يهلك جسدك كله في جهنم (متى ٥ ص ٨) .

مع نور الإسلام :

فإذا اتجهنا إلى رياض الإسلام ، وتلسمنا أريج العبق الندى بالكرامة الكاملة ، والحرية الفاضلة ، ورأيناه وقد سلك بأتباعه السبيل العمل إلى الطهر والعفاف ، فحث على السر والاحتشام ، وأمر بغض الأبصار وحفظ الخوارج ، وفرض صيانة الأعراض والأنساب ، وحمل شرف المرأة وسمعتها من أفواه الما جنين ، وعدّ قذف المحصنات من الموبقات ، وقرنه بالشرك وقتل النفس بغير حق ، والتولى يوم الزحف ، وسجل القرآن اللعنة في الدنيا والآخرة على قاذفي العفيفات ، وأمر بجلدهم ، ورد شهادتهم ، وإسقاط كرامتهم : كل ذلك ليوفر جواً طاهراً نقياً يتنفسه المجتمع الإسلامي السليم ومن ينهج نهجه من غير المسلمين .

وفي القرآن الكريم : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن : » « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم : » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ، ولا يضربن بخمرهن على جيوبهن : » « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . »

« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . »

فإذا كانت الصهيونية بكل شرورها ودلسها وأطماعها نجىء اليوم
لنأتى على القواعد من قداسة هذه الأرض الطاهرة ، وتلوّث شرف
العرب من مسلمين ومسيحيين ، وإشاعة الرذيلة بين ربوع هذه
البلاد ، وبث بائعات الهوى الليلي وماجنات صهيون ، فليس
ذلك بالجديد من أمرهم ، ولا بالغريب من ميراثهم ، وتاريخهم المدون
بأقلامهم وأسفارهم المسفرة عن شرهم . .

* * *

ولكن الأمل فى نصر الله تعالى يواكب النفوس الأبية من وارثى
هداية السماء فى أرض النبوات والأنبياء ممن يقدسون طهارة المسيح
المجيد ، ويعتزون بعزة الإسلام .

ولئن احتجت نساء القدس العفيفات من مسلمات ومسيحيات ،
وبعثت إلى سلطات إسرائيل باحتجاجها متحدة الحديد والنار ،
وبعثت إلى العالم كله ممثلا فى الأمم المتحدة تنكر على إسرائيل الفحش
والعار ، فإن طلائع الزحف المقدس من شباب العرب والمسلمين ،
وأبطال فلسطين الغر الميامين ، يسطرون اليوم أروع الصفحات
فى عالم التضحية والفداء ، ويغسلون بالدماء الزكية الثرى الطاهر
من أقدار صهيون .

خاتمة

وبعد :

فإذا كان الكتاب المقدس في عهده القديم وثيقة تاريخية يهودية جمعت النقائص والأشياء ، وضمت من حيث شاء اليهود فخراً وثباً - من وقائع التاريخ اليهودي ما لا يشرف شعباً في سلم ولا حرب ، ولا ترتفع به جباه قوم في نصر أو هزيمة ، فهل يحمل اليهود المعاصرون أوزار ما ورد في الكتاب المقدس عن السابقين ؟ وهل يكون ما ضميمه الذي أسلمهم المرة بعد المرة إلى الهلاك والتدمير حاكماً عليهم ، قائماً على رموسهم ، مسلطاً على أقدارهم ؟

• • •

إن كثيراً من الباحثين يرون اليهود اليوم هم لليهود مثل كانوا ، لم يغير العصر الحديث من علاقاتهم ، ولم تؤثر الليثات المختلفة من طباعهم إلا ما زادتهم المدنية الحديثة نقاداً إلى ما ينفون من شر وإفساد وتضليل - يعيشون أشتاتاً في بقاع الأرض متفاهين في طرائق العمل . وإذا كان لفرقهم مظهراً من مظهر الضعف فإنهم يعدونه في الوقت نفسه من أكبر أسباب القوة ، حيث يحاولون عن طريق المثال - وقد برعوا في جمه - التغلغل في شؤون الحكم ، والتأثير في حياة الأمم للاجتماعية من وراء ستار ، ولوجه السياسة العالمية ، والتصدي لمن

لأوأهم أو اضربهم في هدف أو منفعة ، وهم مع كل ذلك يحيون في عزلة نفسية ، وانفصام تام عن مشاعر الشعوب التي يعيشون فيها .
عدالة الإسلام :

إن عدالة الإسلام المطلقة في كمالها وشمولها ، تأتي أن تحمل نفس وزر أخرى ، أو تفتقد ذنوب الآباء في الأبناء ، برغم ما بصرح به كثيراً كتاب اليهود المقدس ، ولو شاء اليهود أن يحيا حياة طيبة لما وجدوا أوسع من الإسلام صدرأ ، ولا أسمح من المسلمين نفساً ، ولا أكرم من العرب جوارأ ، وقد عاشوا طويلا في ظلال الحكم الإسلامي ، وجنابات البلاد العربية لا يضارون في دينهم ، ولا يضيق عليهم في دنياهم .

ولمصر في القديم والحديث أباد عليهم بيضاء ، علما ما كان من ظلم فرعون لهم لأمر أراد الله به نشر الديانة الموسوية في الأرض المقدسة ، وجعل به فرعون عبرة في الآخرين ، لما من شدة في عيش أو كارثة في نفس نخل بهم إلا كانت مصر معقد آمالهم ، وعط رحالهم .

الصهيونية والاستعمار :

لكن الصهيونية العالمية - قاتلها الله - تنكرت لكل صليح ، وقبّحت كل جميل ، فمن سخرية القدر أن يعمد اليهود الصهيونيون إلى تحميل العرب وحدهم أوزار ما صنعت الإنسانية بهم ، فقفزوا إلى فلسطين قلب العروبة يسفكون فيها الدماء ، ويلذجون الأطفال والنساء ، ويشقون بطون الحوامل ، ويلشرون من سيرتهم ما كان مطوها ،

ويعلنون من قواياهم وطرائقهم ما كان خافياً ، مستعينين في ذلك بما يملية لهم أشياعهم من المستعمرين الغربيين ، مسخرين في ظلمهم الاستعمار الغربي لأغراضهم وما يعقلون أنهم في الحقيقة يسعون لحثهم ، وأن الاستعمار يريد لهم لتعويق نهضة الشعب العربي وامتصاص قواه ، ليظل في دائرة نفوذ الغرب لا يعدوها ولو كان في ذلك انتحار جهود إسرائيل .

إن اليهود الصهيونيين بتخدير أوهام عودة ، وتأسيس دولة في فلسطين لسيطر على مصاير الشرق الأوسط العوبة في يد الأشرار للغربيين من ساسة انجلترا أولاً ثم أمريكا ومشايخهم ، يضربون بهم شعباً ألياً يقيظ يماضيه المجيد وقواه البشرية والاقتصادية ، وهبات أن يستخذى أو ينام ، وأنى يكون النوم في عالم اليوم وقد تشابكت الصلات ، وهجت المسافات ، وكشفت الأستار عن خطايا السياسات ، وتقلت الإذاعات ثقافة العالمين بكل لغة إلى كل لسان .

ضرورة الجهاد الشعبي :

إن العربي للذي عرف بفرط كرمه ، عرف كذلك بأنفته وإيائه وشدة شكيمته إذا مس عرضه أذى ، أو دنس طهارته مدنس .

وإن الشدائد التي حلت بالعرب في فلسطين دوسن عملي نقل إلى أعماق العروبة فهزها هزاً قوياً ، ونفض الكرى عن عيون الغافلين ، ولما ياذن الله عائدة إلى مكانها في الصدارة من قافلة الحياة .

لقد اكتسح المغول بلاد الإسلام ، وهزم المسلمون ثم انتصروا أخيراً بإسلامهم على جحافل المغبرين ، أما الإسلام فلم يهزم بجزية

أهله بل انتصر بعد على قلوب هؤلاء الأعداء فضمهم إلى جنده ،
ومنحهم سناً من نوره ، فحملوا لواءه طائعين ، وجاهدوا في سبيله
راضين .

واحتل الصليبيون فلسطين ، وبنوا القلاع والحصون ، ثم أوقع
العرب بهم ، وأخرجوهم مدحورين .

فإذا كانت الصهيونية والاستعمار يُدلان بالحديد والنار ، وما بلغت
الآلات العلمية من ألوان الدمار ، فإن في جهاد الشعوب لعبرة
لأولى الألباب .

لقد أقام الإنجليز في مصر سبعين عاماً بعد أن هزموا جيشها
بالدسائس والخداع ، والتفريق بين الشعب وحاكمه قبل أن يهزموا
بالسلاح ، وما أخرجهم إلا الجهاد الشعبي في القتال .

ثم في الجزائر الباسلة وفي اليمن الشعبية وبقية بلاد العرب ، كذلك
في فيتنام وغيرها أمثلة قائمة ونماذج رائعة ، فإذا توانت حكومة
عربية أو حكومات ، وإذا خسر جيش معركة أو معارك ، فإن الجهاد
الشعبي وسيلة الكفاح ، وأسلوب التحرير في العصر الحديث .

إن يهود العالم أجمع دون شطر الجمهورية العربية وحدها عداء ،
وإن شعباً صغيراً كفيتنام ، بل جزء ذلك الشعب الصغير قد دُوغ
بـكفاحه أقسى قوى الأرض وأشدّها بغياً ، حتى مدت إليه يدها
وتوشك أن تركع أمامه ، لتخرج من أرضه ببقية في قواها ، وفي

هبتها على الصعيد الدولي ، وإلا فالويل لها إن ظلت تتركب رأسها
وتعتدى عليه .

إن الجهاد الشعبي الذى بدأناه فى فلسطين متأخراً عشرين عاماً
قضيناها فى طريق من الإعداد الرسمى سبقنا عدونا فيه ، يجب أن
يمضى قدماً إلى غايته .

إننا فى حاجة إلى فداية تعباً لها كل قوى الأمة ، وإن شيئاً واحداً
يعبىء الشعب المؤمن بدينه وبوطنه وبعروبته ، حيث لا يغنى شيء
قط غناؤه ، ولن يستطيع بغيره إنسان كائناً من كان توحيد العرب
وجمعهم وتعبئة جهودهم ، إن ذلك الشيء الوحيد هو كلمة الله .

إن الله تعالى يقول لأعظم خلقه سياسة وحكمة ورأياً وشجاعة
وخلقاً : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ،
لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم إنه شميع عليم » وإن كلمة الله التى جمع بها العرب قائمة وخالدة ،
وإن وعده الذى كتبه على نفسه نافذ وقاطع والله يقول : « يا أيها الذين
آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ،

لقد جمع الله لنا الشرق والغرب عام ست وخسين ، وإن جهادنا
بدأ من الجامع الأزهر فى خطبة الرئيس المشهورة : « إننا نريد جهاداً
ينشق من المسجد ، وعلى هدى الله ، وتنفيذ أحكامه ، وإقامة دينه ،
فى كل مكان وكل عمل »

وعلينا أن نعلم إسرائيل ويهود العالم من ورائها باللغة التي يفهمونها
أن دولة لهم في فلسطين وعلى حساب شعبها مستحيل ، وأن سلامهم
وحياتهم إن شاءوا إنما يكون في دولة عربية تُحفظ فيها للأقليات
حقوق ، بصونها شرف العرب ، وترعاها عدالة الإسلام .
ألا إن موعدهم الصبح ، وإن صبح النصر بإذن الله قريب .
والسلام .